من أخلاق العلماء

آية الله السيد محمد
الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحیم

من أخلاق العلماء

كاتب:

محمد حسینی شیرازی

نشرت فی الطباعة:

مرکز الرسول الاعظم

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

من أخلاق العلماء

اشارة

اسم الكتاب: من أخلاق العلماء

المؤلف: حسینی شیرازی، محمد

تاريخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

الموضوع: اخلاق علماء

اللغة: عربی

عدد المجلدات: ۱

الناشر: مركز الرسول الاعظم(ص)

مكان الطبع: بيروت

تاريخ الطبع: ۱۴۱۷ ق

الطبعة: اول

مقدمة المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إنّ من أهم ما يحتاج إليه الإنسان لينال به سعادة الدنيا والآخرة وكرامتهما، هو الخلق الحسن، والإنسان كما يرتفع ويبتهج بالأخلاق الفاضلة، كذلك ينتكس ويتعذب برذائل الأخلاق.

ألا ترى أنّه لو غفل الإنسان عن نفسه وتلفظ بكلام غير لائق به كيف يندم ويتعذب نفسياً عند ما يلتفت إلى خطأه ويعود إلى نفسه.

وكذلك الحسود ألا تراه كيف يؤذى نفسه ويعذّب ضميره حين يحسد الآخرين ولا يحس بالراحة إلّا إذا تخلّى من الحسد، وازاح هذه الصفة السيئة عن نفسه؟

وهكذا البخيل ألاـ ترى كيف يذمه الناس وينفضّون من حوله، وبمجرّد ما يرجع إلى الجود والسخاء يرجعون عليه بالمدح والثناء ويلتفّون حوله؟

وعليه: فمن الخطأ أن يتصور الإنسان أنّه لو تخلّى عن الفضائل ومحاسن الأخلاق ان سوف يحصل على التحرر من عذاب الضمير، وتأنيب الوجدان، وان سيعيش برغد اكثر، وحرية كبرى، وسعادة قصوى، بل بالعكس من ذلك تماماً.

ولهذا نرى أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لخّص رسالته فى قوله: إنّما بعثت لاـتمّم مكارم الأخلاـق وذلك لما فى ظلال الأخلاق من حياة كريمة، وراحة وجدان، وسعادة أبدية.

وقال الشاعر:

إنّما الأمم الأخلاق إن بقيت وإن هُم ذُهبت اخلاقهم ذهبوا

هذا هو الواقع المتسالم عليه، رغم ما ادعته الشيوعية من ان الأخلاق أوهام اختلقها أصحاب الأموال وبثّوها فى الناس لحفظ رؤوس أموالهم ورعاية مصالحهم، فإنّ هذا الإدعاء لا أساس له، ولذا ترى الشيوعيّة نفسها تمدح الجندى المقدام لشجاعته، وتذم الجندى الجبان على جبنه، وترفّع الحزبى المناضل لحزبه، وتطرد الحزبى الخائن من حزبه، وهكذا.

ولأجل تثبيت قواعـد الأخلاق، وترسيخ اُصوله ومبانيه، كتبت هذا الكراس وسـمّيته: (من اخلاق العلماء) والقصد من كتابته تبيين نبذة يسيرة من اخلاق فقهائنا المراجع، حتى يكونوا لنا اُسوة وقدوة، وخاصة لرجال الدين فإنّه يجب علينا أن نواصل طريقهم ونسعى لنشر الإسـلام وتعاليمه الأخلاقيـة الفـذة، وتبليغ الدين الحنيف إلى الأجيال كما بلّغوه الينا، وفقنا اللّه تعالى لما فيه رضاه والجنة، وهو الموفق المعين.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدى الحسينى الشيرازى

التجاهر بزيارة الجامعة

يحكى عـن المرحـوم الشيـخ مرتضـى الأنصـارى (قـدس سره) أنّـه أيـام كـان فى النجـف الأشـرف، كـان يـواظب على زيـارة الإمـام أميرالمؤمنين عليه السـلام فكـان يتشـرف كل يوم بالحضور فى الروضـة الحيدريـة المباركـة ويقف عنـد الضـريح المبارك من الحرم الشريف، ويزور الإمام بزيارة الجامعة الكبيرة ويرفع صوته بها.

وذات مرة أقبل عليه أحد المغرضين الذين فى قلوبهم مرض وقال له: إلى متى ترائى فى عملك؟

فأجابه الشيـخ برحابة وابتسام: وأنت أيضاً ائت بمثل هذا الرياء. وذلك من دون ان يغضب عليه أو يعنّف به، مع أنّ المعترض عليه أراد تنقيصه والازدراء به.

من آثار الوضوء

قيل لوالـدة الشيـخ مرتضـى الأنصارى (قدس سرّه): هنيئاً لك على ما رزقك اللّه من ولد وبارك لك فيه، فلقد بلغ فى العلم والتقوى درجات رفيعة، ومقامات عالية، قلّ ما يبلغهما أحد مثله.

فقالت فى جوابهم: انّى كنت اتوقع منه أكثر مما ترونه فيه، وارقى ممّا وصل إليه اليوم، وذلك لأنّى لم ارضـعه حتى رضـعة واحدة من غير وضوء، فقد تحملت البرد والحر، فى الصـيف والشتاء وفى السفر والحضر وفى كل حال حتى توضأت ثمّ أرضعته، فكيف لا يكون هكذا من نشأ كذلك؟

التورّع عن المعصية

ينقل المرحوم السـيد محمّد مهدى بحر العلوم (قدس سرّه) – الذى كان يُعرف بكثرة تشرفه بزيارة الإمام المهدى عليه السلام ويحظى بلقائه (عجل الله فرجه) – انّه لما كان يافعاً لم يبلغ الحلم، خرج من مجلس مقاطعاً له وهو يبكى.

فقيل له فى ذلك، متسائلين عن سبب بكائه؟

فقال: كيف لا ابكى ولا اقاطع مجلساً يعصى اللّه تعالى فيه علانية وجهاراً؟

ثمّ تبيّن انّه كان قد اشتغل أهل المجلس باغتياب الناس فيه.

نعم هكـذا انسان يؤهل لأن يكون ممن ينال شـرف الزيارة، ويحصل على لقاء بقية اللّه فى الأرضـين، الحجّة بن الحسن المهدى عجل اللّه تعالى فرجه الشريف.

المعاشرة الحسنة

نقل أحد الشخصـيات العلمية الذى كان قد سافر إلى سوريا لزيارة السـيدة زينب سلام اللّه عليها: انّه راى المرحوم السيد محسن الأمين

صاحب اعيان الشيعة فى سوق الحميدية بالشام، وهو فى تشييع جنازة أحد علماء العامّة.

قال: فلحقته وسلمت عليه وصحبته حتى وصلنا إلى المسجد الأموى، فامتلأ المسجد بالمشيعين وتقدم السيد الأمين للصلاة عليه – بطلب من اولياء الميت – ولمّا أتمّ الصلاة ازدحم الناس عليه يحبّونه ويقبلون يديه.

فتعجبت من ذلک وسألت السيد قائلاً: أوليس هؤلاء من العامة، فكيف طلبوا منک الصلاة على جنازة عالمهم؟

ثمّ كيف يقبّلون يديک وهم يعلمون بأنّک من علماء الشيعة وشخصياتهم؟

فأجاب السيد: إنّ ذلک كلّه نتيجة الرفق بهم والمدارة معهم طوال عشرة سنين.

ثمّ واصل كلامه وقال: انى لما قدمت الشام اغرى بعض الجهال بى اشد المخالفين علىّ، ليؤذوننى حتى انّهم علّموا اطفالهم يرموننى فى السوق بالحجارة، ويسحبون عمامتى من رأسى أحياناً من الخلف، فصبرت على ذلک، وقابلت مسائهم بالإحسان، وأذاهم بالغفران، وشيّعت جنائزهم، وعدت مرضاهم، وتفقدت غائبهم، وعاشرت حاضريهم بوجه منطلق، حتى تبدّل البغض حباً، والعداء ودّاً، والفرقة الفة وانسجاماً.

مع شاعر أهل البيت

يقال: ان المرحوم السيد حيدر الحلى – شاعر أهل البيت، المعروف بولائه وجودة شعره – دخل يوماً على الميرزا محمد حسن الشيرازى (قدس سرّه) قائد ثورة التنباک، وألقى عليه قصيدة كان قد نظمها بالمناسبة، فأمر له الميرزا بجائزة قدرها عشرون ليرة ذهبية.

فقال له ابن عمه الميرزا اسماعيل الشيرازى (قدس سرّه) – وكان هو أيضاً شاعراً قديراً وعالماً نحريراً وقد حصل لجدارته مرتبة مشاورة الميرزا –: ان السيد حيدر هو شاعر أهل البيت ومن ابنائهم، وصلة شعراء أهل البيت أكثر من ذلک، وجائزتهم اكبر.

فقال له الميرزا: صدقت يا ابن العم، ثمّ أمر له بجائزة قدرها ستمائة ليرة ذهبية.

الملوک على أبواب العلماء

يذكر عن كافى الكفاة الصاحب بن عباد، الذى هو أحد كبار شخصيات الشيعة فى عصره وزمانه، وكان عبقرياً نحريراً وشاعراً أديباً، ولغوياً بارعاً، وقد ولى منصب الوزارة فى حكومة البويهيين اعواما طويلة، وأفاض ايام وزارته على البلاد والعباد تقدماً ورُقياً وجوداً وحساباً وأدباً واخلاقاً.

يذكر عنه: أنّه سافر إلى إحدى المدن النائية ليلتقى فيها بأحد العلماء القاطنين هناک وينال زيارته من قريب، فلما وصل إليها، بعث بأبيات شعرية إلى ذلک العالم يطلب منه فيها اذنه بملاقاته وزيارته ايّاه فى داره، وعندما وصلت الأبيات الشعرية إلى ذلک العالم واطلع على مضمونها، كتب فى جوابه – وهو يرفض لقاء الوزير بلا مبالاة به ولا خوف منه أو تملق له – البيت التالى:

اهمّ بأمر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان.

نعم، لما يكون الملوک على ابواب العلماء، فنعم الملوک ونعم العلماء، واذا انقلب الأمر إلى العكس وكان العلماء على أبواب الملوک، فبئس الملوک وبئس العلماء.

قال على عليه السلام: (الملوک حكام على الناس والعلماء حكام على الملوک)

مأوى الأسد: الأجَمات

كان قد طرق سمع (ناصر الدين شاه) كلمات اطراء حول مؤلف كتاب (المنظومة) فى المنطق والحكمة، الحاج هادى السبزوارى، فأحب ان يراه من كثب، ولذلک عزم على السفر إلى خراسان – ولكن سفراً غير رسمى – حتى يتوفق لرؤيته.

فلما وصل فی طریقه إلی نیشابور، زاره فیها العلماء وشخصیات البلد، ولم یکن فیما بینهم الحاج هادی السبزواری، فاضطرّ ان یذهب وحده إلی سبزوار علّه یحظی هناک بزیارته.

ولما وصلها توجّه الی داره ودخل علیه بلاـ خبر مسبق، فرآه جالساً علی حصیر عادی فی بیت متواضع، خال من کل زخارف الحیاۂ ومباهجها، فتعجب من ذلک.

لکن زاد تعجبه لما صار وقت تناول طعام الغذاء، حیث جاء الیه خادمه بطبق فیه قرصان یابسان من الشعیر، وقلیل من الملح الجریش، ومقدار من اللبن الحامض، وملعقتان من خشب، ووضعه امامهما.

عندما توجه السبزواری الی الملک وقال: تفضل علی اسم اللّه.

فلما رأی الملک انّه لا یستطیع الأکل منه، اخرج مندیلاً وأخذ کسرۂ من ذلک الخبز الشعیر الیابس للتبرک ووضعها فیه، لیکون قد شارک السبزواری فی طعامه وغذائه، ثمّ عزم علی مغادرته فقام وهو یودّعه لیخرج من عنده.

فشیّعه السبزواری ببیت من الشعر مضمونها: انک لو رأیت عندی الحصیر العادی والبیت المتواضع، فلا تتأثر فان الأسد الذی هو سلطان الغاب یسکن الأهوار والأجمات.

فاستحسن الملک کلامه وودعه وهو متعجب من شدۂ زهده وتقشفه.

أوحدی زمانه

یقال: انّه لما دخل (نادر شاه) العراق فاتحاً، توجه الی النجف الأشرف لزیارۂ الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام فزاره علماء النجف غیر واحد منهم لم یزره.

فظن الملک ان ذلک العالم الذی غاب عن زیارته قد تکبّر علیه، فأمر وزیره باحضاره، وقال: إذا امتنع عن الحضور فهدّده بالقتل.

بلّغ الوزیر رسالۂ الملک إلی ذلک العالم.

فابی العالم ان یأتی لزیارته وقال: قل للملک یفعل ما یشاء.

فلما وصل هذا الخبر إلی الملک استطار غضباً وعزم علی تنفیذ ما هدّده به من القتل.

لکن الوزیر قال له - وهو یحاول زحزحۂ الملک عن تهدیداته والنزول عن غضبه-: ان هذا العالم هو الأوحدی فی زمانه، ومن خصائص هکذا علماء الابتعاد عن الدنیا واهلها، وملوکها وسلاطینها، والعزوف عنهم، فلو شئت زرته أنت بنفسک.

وافق الملک علی قول وزیره وعزم علی ان یزور ذلک العالم بنفسه، فلما دخل علیه فی بیته المتواضع ووقعت عینا الملک علیه، أکبره ووقّره، واحترمه وتواضع له، ثمّ قال له بکل تواضع: لوکانت لکم حاجۂ فامرونی بتنفیذها.

فأجابه العالم: لیست لی الیک حاجۂ، وإنّما ارجوک ان لاتمس الناس وخاصۂ أهالی النجف الأشرف بسوء وأذی.

فقال الملک بانکسار: سمعاً وطاعۂ: ثمّ ودعه ورجع القهقری حتی خرج من عنده.

فتعجب الوزیر من ذلک، فالتفت الیه - عندما خرجا -: کم الفرق بین السیرتین: التهدید بالقتل، والتواضع له والإنکسار إلی هذا الحد؟

فأجاب الملک: إنی لما عزمت علی فتح العراق رأیت الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام فی المنام ورأیت هذا العالم إلی جنبه.

التحدی الجریء

یحکی أنّه لما أراد البریطانیون احتلال العراق، واجهوا مقاومۂ العراقیین لهم بکل شدۂ، ورأوا أنّ جذر المقاومۂ التی تمد الناس بالقوۂ والمعنویۂ هی مراکز العلم والعلماء وفی مقدمتهم: النجف الأشرف وکربلاء المقدسۂ.

ولذلک لما فرضوا سیطرتهم علی العراق بالکامل، فکّروا فی الإنتقام، فبدأوا بالنجف الأشرف، فبعثوا الحاکم البریطانی الی السید

محمّد كاظم اليزدى صاحب العروة قدس سرّه ليقول له: ان الحكومة البريطانية تطلب من سماحتكم مغادرة النجف الأشرف.

قال السيد: ولماذا؟

اجاب: لانا نريد الإنتقام من الأهالى.

قال: اخرج وحدى أم مع عائلتى واُسرتى؟

أجاب: بل مع عائلتكم واُسرتكم.

قال: فإنّ أهالى النجف الأشرف كلهم اُسرتى وعائلتى، وإنّى لن اخرج منها مهما كلف الأمر، وسوف ابقى وليصيبنى فيها ما يصيبهم.

وبذلك ردّ الحاكم البريطانى خائباً، وتراجعت الحكومة البريطانية عن نواياها بالنسبة لأهالى النجف الأشرف على أثر مقاومة السيد اليزدى وشجاعته، ووفائه واخلاصه.

المرجعية: مسؤلية كبرى

كنت بصحبة والدى المرحوم السيد ميرزا مهدى الشيرازى، وابن عمى المرحوم السيد ابو القاسم الشيرازى، فى مجلس كان فيه المرحوم السيد عبد الهادى الشيرازى أيضاً، وفى الأثناء جاءنا خبر وفاة المرجع الدينى الكبير السيد ابو الحسن الاصفهانى (قدس سره) فتأسفنا جميعاً وتأثرنا بالخبر المفجع، غير انّ الذى تغيّر لونه واضطربت احواله اكثر من الجميع، كان هو الميرزا السيد عبد الهادى الشيرازى (قدّس سره)، حيث إنّه كان مرشحاً من قبل بعض خواص العلماء وأهل الرأى والنظر للزعامة العامة والمرجعية الدينية، وخوفاً من ذلك بدى الاضطراب عليه وهو يقول مردداً: استجير باللّه تعالى مما اخاف واحذر، وانى يا رب اخاف من ان تصلنى مسؤولية الزعامة والمرجعية، واحذر من عبئها الثقيل ومسؤوليتها الكبرى، وهكذا بقى مضطرباً من ألم المصاب ومن خوف المسؤولية.

وحق له ذلك، فإنّ مصاب فقد مرجع كبير كالسيد الاصفهانى (قدس سره) كان كبيراً ومؤلماً، كما ان عبئ المرجعية الشيعيّة والزعامة الدينية العامة كبير وثقيل أيضاً، ومن المعلوم: ان من يخاف من شىء، يأخذ حذره منه ويتهيّأ له، ويتحفظ عن مساقطه ومهاويه بقدر ما يستطيع، وكذلك كان (قدس سرّه) فقد استطاع ايام مرجعيته العليا بعد السيد البروجردى (قدس سرّه) من بث روح التقوى والورع، ونشر الثقافة الدينية والأخلاق الإسلامية فى أوساط المسلمين وخاصة الحوزات الدينية والعلمية المباركة.

التربية العبادية

نقل لى والدى (قدس سرّه) عن ذكريات صغره القصة التالية قائلًا:

انى لا انسى ايام كنت صغيراً ادرج فى البيت بمنظر ومرأى من والدتى رحمهااللّه، تعتنى بتربيتى وتأديبى غاية الإعتناء، حتى إنى اتذكر جيداً انّها كانت من الصالحات القانتات، وعلى اثر ذلك كان لا يفوتها نافلة الليل وتلاوة القرآن بالاسحار، وكانت اذا قامت لصلاة الليل والتهجّد فيه ايقظتنى معها، واصطحبتنى الى مصلاها، واقعدتنى الى جنبها، وكانت توصينى بالإنتباه اليها وعدم النوم والغفلة عنها.

وحيث كنت صغيراً يغلب علىّ النوم، ولم اكن فى سنّ اقدر على الصلاة معها، كانت تجعل امامى ظرفاً وفيه شىء من الحمص والكشمش لاشتغل عن النوم بأكلها واللعب بها، وبالفعل كنت الهو بها عن النوم، وبهذا الأسلوب كانت تعلمنى والدتى - رحمهما الله تعالى- على القيام فى الاسحار، وتعوّدنى على الانتباه المبكّر قبل الفجر لنافلة الليل والتهجّد فيه، رغم انى كنت صغيراً ويطغى علىّ النوم، وربما كنت لا استطيع المشى عندما توقضنى والدتى فى السحر من غلبة النعاس، لكنها كانت تتحمل كل ذلك منى برحابة صدر، وانبساط وجه، وطيبة لسان، وطهارة قلب، حتى اعتدت الإسحار والتبكير بلا مشقة وعناء.

ومن طلب العلى سهر الليالى

الكثير من الناس يسهرون الليل، ولكن ليس كلهم يسهر على وشيكة واحدة، وإنّما هم فى ذلك على قسمين:
قسم يسهر الليل فيكتسب من الليل بؤساً وعناءاً، وظلاماً وضعة.
وقسم يسهر الليل فيكتسب من الليل غنى وراحة، ونوراً ورفعة، ومن هذا القسم العلماء وتاريخهم يشهد لهم بذلك.
فهذا العلامة الشيخ محمّد باقر المجلسى (قدس سرّه) صاحب كتاب بحار الأنوار، على ما ينقل عنه كان اكثر ايام حياته مريضاً، وقد اصيب مدة غير قصيرة برمد فى عينيه مما منعته من التأليف والتصنيف، اضافة الى ذلك كان اجتماعياً، كثير المعاشرة، مرجعاً وملاذاً للناس يرجعون اليه فى أمورهم وقضاياهم، ومسائلهم واحكامهم، وكان مضافاً الى ذلك مدرساً قديراً، يلقى الدروس العلمية ويفسر المعارف الدينية على طلاب العلوم، اضافة الى تعهد شؤونهم وشؤون الحوزات العلمية والى غيرها من المشاغل الإجتماعية التى كان مشتغلًا بها ومع كل ذلك ألّف وكتب عدداً كبيراً من الكتب والتصانيف المهمة والمفيدة، منها بحار الأنوار، مما لو قسّم على أيّام عمره، كان حصة كل يوم ما لا يقل عن مائتى سطر – علماً بأنّه توفى عن عمر بلغ ثلاثة وستين عاماً – حتى انّه – على ما قيل – كتب رسالة الإعتقادات، الحاوية لما يقرب من الف سطر فى ليلة واحدة مما يظهر انّه لم يكن ذلك منه الا لما كان يسهره من الليالى.
فإن من طلب العلى سهر الليالى وغاص البحر من طلب اللئالى

مصاحبة الخلفاء والملوک

كتب احد الخلفاء إلى أحد العلماء، يطلب منه ان يرافقه لينصحه ويرشده.
فكتب اليه العالم فى جوابه: الذى ينصحک لا يصحبک والذى يصحبک لا ينصحک.
وربما نسب هذا الى احد الأئمّة الطاهرين عليهم الصلاة والسلام مع احد خلفاء بنى العباس.

على مائدة الملک

قيل عن احد الملوک: انه دعى العلماء والقضاة الى الافطار فى ليلة من ليالى شهر رمضان المبارک.
فامتنع أحدهم من الإجابة، وكان قصد الملک من الضيافة هو ذاک الممتنع وإنّما اضاف الباقين لأنّ يشبّه الأمر عليه، علّه يجيب.
فأصرّ الملک على قبوله، واخيرا قبل العالم بشرط ان لا يأكل من طعام الملک، وإنّما يحضر مجلس الضيافة مصطحباً معه طعام فطوره يأكل منه لكن على مائدة الملک.
فقبل الملک شرط العالم، فحضر العالم على المائدة وبسط منديله وأخذ يأكل لقيمات بجنب الملک، فمدّ الملک يده الى منديل العالم وأكل منه لقمة ليفتح على نفسه طريقاً الى اجبار العالم على الأكل من طعامه بحجة المقابلة، ولكن فوجئ الملک بقول العالم: الحمد للّه رب العالمين، وجمع المنديل مؤذناً بتمام افطاره.
قال الملک وهو آيس من نجاح خطّته: انا اكلت من طعامک فارجو ان تأكل من طعامى.
قال العالم: انى شبعت وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الأكل على الشبع.
وبعد ذلک سئل من العالم عن سبب ما فعل؟
قال: عرفت ان مقصود الملک من اكله من طعامى هو اجبارى على ان آكل من طعامه ولذا استعجلت فى الأكل ولما ان اكل من طعامى، جمعت المنديل ليعرف انى انهيت الأكل فلا يبقى له محل فى الاصرار على ان آكل من طعامه، علماً بان الأكل من طعام الخلفاء والملوک – عادة – يقسى القلب وينسى الآخرة ويجرّ الإنسان الى المداهنة والغض على ظلمهم على العباد والبلاد.

مع صاحب الفصول

يقال: انّ (فتح على شاه) الملك الايرانى رغب فى ان يزوج ابنته من العالم الجليل صاحب الفصول (قدس سره)، فأبى صاحب الفصول ذلك.

فقيل له: لم رغبت عن مصاهرة الملك، مع ان الملك مسلم، ملتزم بأحكام الدين، ومعلوم ما يناله صهر الملك من العزّ والشأن، وانت بأشدّ حالة من الفقر.

قال: لانّ مواصلة الملوك تدخل الإنسان فى الدنيا، وتبعّده من الآخرة، ولا حاجة لى فى عزّ وغنى يبعّدنى عن الآخرة.

التأليف حياة العالم

المرحوم الحاج الشيخ عباس القمّى (قدس سره) صاحب كتاب مفاتيح الجنان، والتأليفات الكثيرة المفيدة، سافر مع جماعة من التجار الى سوريا.

قالوا: انّه باستثناء الصلاة والزيارة كان ينكبّ على التأليف والمطالعة، وحين كنّا نخرج للتنزه والصيافة كنا نصرّ عليه على المرافقة معنا، فكان يأبى.

وكذا كان يسهر الليل حين كنّا نيام، وهو يطالع ويؤلف.

نعم لو كان ينام كثيراً ويتنزّه طويلاً، لما استطاع ان يؤلف ما يؤلف من الكتب المفيدة والممتعة مثل سفينة البحار وغيرها.

جوهرة الجواهر

قالوا: ان صاحب الجواهر كان قد عهد على نفسه ان يكتب كل ليلة مقداراً من الجواهر، وفى ذات ليلة مات ولد له، قالوا: فأخذ القلم والقرطاس، وهو باك العين محترق القلب، فجاء وجلس عند جثمان ولده، واخذ يكتب وفاءاً بعهده.

وهكذا استطاع صاحب الجواهر بصبره وتجلده وثباته واستقامته ان يخلد كتاب الجواهر للحوزات الدينية والمجامع العلمية.

نوم العلماء

يقال: انّ واحداً من أولاد العلماء جاء بفراش النوم، وأراد أن ينام، فقال له والده - وكان حينذاك مشغولاً بالكتابة-: ليس هكذا النوم يابنىّ.

فقال الولد: فكيف إذن هو ياأبة؟

فأجابه الوالد: انظر يابنى.. ثم وضع القلم من يده وأغفى وهو جالس مقداراً قليلاً، ثم استيقظ وقال: يلزم أن يكون نوم العالم هكذا.

نعم انّ العلم لاينال بالنوم والكسل، فإنّ من طلب العلى سهر اللّيالى.

بين العلم والزيارة

كان أحد العلماء فى النجف الأشرف لاشتغاله بالدرس والبحث لايكثر السفر إلى كربلاء المقدّسة وزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فقيل له فى ذلك؟

فأجاب قائلاً: لأنى أرى أن وظيفتى الدرس والبحث والتعليم والتعلّم فى هذه الظروف العصيبة، فإذا ذهبت إلى كربلاء المقدسة للزيارة أخشى أن يقال لى: لماذا تركت فى هذه الظروف القاسية واجبك الملقى على عاتقك وأهملت ترويج العلم ونشر الدين وذهبت إلى الزيارة؟

نعم لكل ظرف من الزمان حكمه الخاص به، والعالم النبيه هو من يستطيع معرفة الزمان ومعرفة ما يتطلبه منه وإلا فثواب الزيارة لايخفى

على أحد.

فی طریق الزیارة

قیل: انّ واحداً من العلماء الأعلام كان إذا سافر من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة للزیارة، صلّى جمعاً فسئل منه عن ذلک؟ فأجاب قائلًا: أرى ان الإسلام والمسلمين قد تعرّضوا للغزو والتشويه، ولايستطيع الوقوف أمام هذا التيار الجارف وردّه إلا العلماء عن طریق نشر العلم، فيكون هذا الأمر واجباً عينياً، بينما الزيارة أمر مستحب، ولذلک فی الزیارة اُصلّی جمعاً رعایة للاحتیاط.

البحث الدائم

كان الحاج آقا حسين القمی (قدس سره) المرجع المعروف، من دأبه أنه إذا سافر إلى مكان اصطحب معه أصحاب بحثه الخاص، ليشتغل معهم بالبحث طيلة الطريق والسفر.

وقد شاهدته مراراً كذلک.

وكان يقول: كيف آكل من السهم الشريف، سهم الإمام عليه السلام الذی هو للمشتغل، وأنا عاطل عن البحث والمدارسة ولو فی الطریق؟

مع صاحب مستدرک البحار

اتّفق عدّة من رجال الدين على السفر إلى سامراء والتشرّف بزيارة الإمامين العسكريين، وكان الوقت صيفاً والهواء حاراً، ولذلک كانوا يصطافون ليلًا على شواطیء دجلة وينامون هناک على مشارف سامراء.

وكان من بينهم المرحوم الشيخ ميرزا محمد الطهرانی، صاحب مستدرک البحار وكان يشتغل بكتابة مستدركه طيلة الليل، فكان هو الوحيد من بينهم الذی لاينام، حتی انه كلما انتبه أحد منهم رآه مشتغلاً بالكتابة والتأليف مع انه كان قد كبر سنّه وضعف جسمه وبصره، لكنه مع ذلک كان يجتهد ويتعب نفسه فی انجاز تأليفه.

مثال الزهد والتقوى

نقل لی ابن العم: السيد ميرزا أبوالقاسم الشيرازی(قدس سره): انهم أيام تواجدهم للدراسة فی سامراء، كانوا يذهبون فی أيام الربيع خارج المدينة للإصطياف والنزهة، حيث ان أمطار الربيع كانت تملأ الصحراء بالأوراد والزهور وكان لها أبهج المناظر، وأحسن الأريج والعطور.

قال: وكنّا نصرّ على والدک: سماحة السيّد ميرزا مهدی (قدس سره) فی أن يصحبنا إلى خارج المدينة للإرتياح، لكنه كان يأبى ويتعلّل بالدرس والبحث.

حتی إذا كان يوم جمعة، قلنا له: لابدّ أن تخرج معنا فإنه لا درس فی هذا اليوم.

قال: إن لم يكن عندی درس فعندی مطالعة وتحضير.

قلنا: يمكن لک أن تطالع فی الصحراء حيث المنتزه؟

قال: وعندی برنامج حفظ القرآن الحكيم.

قلنا: ويمكن أيضاً أن تحفظ هناک.

قال: لكنی فی عصر الجمعة أريد زيارة الإمام المهدی عليه السلام فی السرداب المقدّس.

وهنا قال ابن العم: فثارت حفيظتي وقلت له: إذن قل من أوّل الأمر: اني لااريد الخروج معكم.

العلم والعمل

لقد كان الوالد(قدس سره) يحثّني كثيراً على المطالعة ومواصلة الدراسة، وكان يقول لي عن نفسه: انه كان ابان اشتغاله بالدرس لاينام في الليل والنهار إلا مايقارب الساعتين فقط، وكان إلى جانب الدرس يحفظ القرآن عن ظهر الغيب، وكان قد خصص وقتاً لذلك في الليل وعلى ضوء القمر، حيث لم يكن آنذاك برق وكانت اُمورهم عسرة لا تسمح لهم بتوفير سراج للمطالعة في ضوئه، وكان في النهار مشتغلاً بالدرس والبحث ولذلك كان لا يتمكّن من حفظ القرآن إلا ليلاً، وكان(قدس سره) يقول: انه قد عهد مع نفسه منذ أوائل بلوغه أن يجتنب بتوفيق من اللّه تعالى كل التي يمكن أن يبتلي بها طالب العلم، من حب الصدارة في المجالس، وحبّ الغلبة على المباحث في أثناء البحث، وحب الجاه والمقام، وبيع الآخرة بالدنيا وما أشبه ذلك، وقد رأيته بنفسي انه(قدس سره) كان ملتزماً بعهده، موفياً لوعده، إلى آخر عمره.

وقد صادف ذات مرّة أن كنت بخدمته وذلك حين رجوعه من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة وبعد أن زرنا الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في إحدى المناسبات الخاصة بزيارته عليه السلام، إذ توقّفت السيارة في الطريق قرب (النخيلة) لنفاد وقودها، فأخذ الوالد(قدس سره) يتمشى ويتلو القرآن عن ظهر الغيب حفظاً – حيث كان حافظاً له – واستمر إلى الفجر على عمله ذلك، ولما سألته عن المقدار الذي قرأه من القرآن، قال: ثمانية أجزاء.

وقد كان(قدس سره) ملتزماً بعدم النوم بين الطلوعين، وكان يتلو كل يوم بعد صلاة الصبح جزءاً من القرآن الكريم، بالإضافة إلى الأدعية اليوميّة المأثورة.

وكانت من سيرته: أن ينقل صلاة جماعته في أيّام الزيارة – حيث يتوافد الزوّار على كربلاء المقدّسة – من الصحن الشريف إلى المسجد أو الحسينية، وكان يقول: لاُحب أن اُزاحم الزائرين.

وكان في أوائل امامته للجماعة يصلّي صلاة الصبح في الحرم الحسيني عليه السلام وراء الضريح المقدّس، ثم نقل جماعته من ذلك المكان الطاهر حتى لا يسبّب مزاحمة الزائرين.

وكان(قدس سره) قد فتح لنفسه حساباً خاصاً مع الإمام المهدي (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف) حتى انه كان لا يغيب عن ذهنه، ولا يغفل عن ذكره، وكان يذهب عصر كلّ يوم جمعة، إلى مكان خلوة من سطح أو نحوه، ويتوجّه إلى الإمام عليه السلام بقلبه، ويناجيه بسره، ويتوسّل إلى اللّه تعالى بتعجيل فرجه، وتسهيل ظهوره، ويقرأ الأدعية الواردة في ذلك.

وكان(قدس سره) حليماً صبوراً على أذى الناس، ويعفو عنهم. ففي ذات مرّة كتب إليه شخص كتاباً ذكر فيه شتائم كثيرة، وكان قد صدره بكلمة قاسية جدّاً، فامتقع لونه من مطالعته، لكنه أجرى الحوقلة على لسانه وسرى عنه.

حياة كحياة الأنبياء (ع)

قيل: انه لما اشتهر الشيخ الأنصاري(قدس سره) بالمرجعية وعلا صيته في الآفاق، أرسل الخليفة العثماني آنذاك مبعوثاً إلى النجف الأشرف ليرى الشيخ من قريب، فلمّا جاء ودخل على الشيخ في داره، رأى ما أثار تعجّبه وغرابته، رأى داراً عادية وبسيطة، ورأى الشيخ جالساً في غرفة متواضعة قد فرش بعضها ببساط عادي، وعليه عمامة وعباءة وقباء مادون المتوسّط، وبين يديه كتب كثيرة وهو مشغول بها.

فلمّا دخل ورآه الشيخ، قام إليه واستقبله وأجلسه على البساط، ثم جلس إليه يحدثه وسأل عن صحّته، ثم قام وجعل قليلاً من الدبس في اناء من خزف وصبّ عليه الماء وقدّمه للمبعوث، وبعد أن شرب، قال له الشيخ معتذراً: لقد حان وقت الدرس وان الطلاب في

انتظاری وأنا عازم – مع اذنكم – على أن أذهب إليهم، فقام المبعوث وودّع الشيخ وخرج.
ولما رجع المبعوث إلى الخليفة ونقل له ما رآه من الشيخ، قال الخليفة: وجدته كما يحكى عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم. يقصد بذلك ماعند الشيخ من الزهد فى الدنيا والبساطة فى العيش.

من حياة المرجعية

نقل لى أحد العلماء: انه كانت له عمّة، لها مزاورة مع اُسرة الشيخ الأنصارى(قدس سره) وعائلته، فحكت لى ذات مرة وهى تقول: كنت أختلف إلى دار الشيخ الأنصارى(قدس سره) لمعرفة لى مع زوجته، ففى ذات يوم لما جاءت ابنة الشيخ من الدرس إلى الدار أخذت تشتكى إلى اُمّها قائلة: ان زميلاتى فى الدرس يأتين كل يوم بمختلف الأطعمة وأنواعها، وأنا أذهب كل يوم بخبز ولبن، فلقد عجزت عن أكل لون واحد من الطعام فى كل يوم.
قالت: ثم جاء الشيخ، فنقلت الاُم إلى الأب كل كلام البنت وانتظرت جوابه.
فقال الشيخ بأنها تصدق لابدّ من التنويع، فاعطيها فى يوم خبزاً فقط، وفى يوم خبزاً ولبناً وهكذا، حتى تشتهى ذلك، ولا تملّ من أكل لون واحد من الطعام كلّ يوم.
نعم هكذا يروّض المرجع الإلهى نفسه وعائلته على الزهد والتقشف، حتى لا ينزلق فى المغريات وزخارف الدنيا الفانية.

من مواقف المرجعية

يقال: ان البهلوى الثانى جاء بعد سفرة له إلى الهند، إلى قم المقدسة وأراد أن يلتقى بمرجع عصره السيد البروجردى الحاج آقا حسين (قدس سره)، وكان يتم اللقاء بينهم فى كل مرة فى حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.
لكن السيد(قدس سره)أبى فى هذه المرة عن الإجتماع به فى حرم السيدة المعصومة عليها السلام – كالمرات السابقة – فجاء وسائط الشاه وأصروا على اقناع السيّد بأن يكون اللقاء فى الحرم كما كان عليه سابقاً، فلم يتمكّنوا من إقناعه، وأخيراً قالوا له: نقول للشاه ان السيد مريض، ولا يتمكّن من الخروج إلى الحرم، فيزورك الشاه فى دارك، وقد كان الشاه مصرّاً على زيارته.
فلم يقبل السيّد وقال مغضباً: كيف أجتمع بمن يدعى الشاهنشاهية على بلد إسلامى وشعب مسلم، ثمّ يذهب إلى الهند، ويركب زوجته وهى سافرة على الفيل يطوف بها فى البلاد على أعين الناس بما يوجب خزى المسلمين وذلّهم؟ ورفض بكل صلابة اللقاء به تأديباً له، وهكذا استطاع السيّد بموقفه الصلب من أن يصدّ الشاه عن ارتكاب مثل هذه الموبقات والفضائح.

المرجعية قوّة عظمى

قالوا: ان البهلوى الثانى كان ينوى اجراء بعض القوانين غير الإسلامية فى ايران، لكن السيد البروجردى(قدس سره) وقف صامداً ضد نواياه الشريرة، فأرسل الشاه رئيس وزرائه لكسب رضا السيّد.
فقال فيما قال له، وهو يتكلّم عن لسان الشاه: فإنّ هذه القوانين قد اجريت فى البلاد المجاورة ونحن مجبورون على إجرائها.
فقال السيّد: قولوا للشاه: لكن تلك البلاد قد تبدّل نظام الحكم فيها من الملكيّة إلى الجمهوريّة، ثم اجريت القوانين، فاُلقم الوزير حجراً ولم يتمكّن أن يتكلّم بعدها بشىء، لأنّ هذا كان أكبر تهديد للملك، ولم يتمكّن الشاه من إجراء تلك القوانين غير الإسلامية فى ايران مادام كان السيّد البروجردى(قدس سره) حيّاً.

من كياسة المرجعيّة الشيعيّة

قيل: ان البهلوى الثانى أصرّ ذات مرّة على إجراء قانون التساوى بين الـذكر والاُنثى فى كل شـىء، وهو قانون مخالف للقرآن، فصـمد السيّد البروجردى(قدس سره) فى قبال ذلك واعترض على القانون وأعلن خلافه له بكلّ قوّة.

فأرسل الشاه إلى السيّد من يستميله ويسترضيه، فجاء إليه ودارت بينهما مباحثات حادة، لكن أحدهما لم يتغلب على الآخر ولم يستطع استمالته واسترضاءه، وأخيراً قرّر الشاه اجراء القانون متحـدّياً كلّ الضـغوطات والإعتراضات الموجودة والتى سـتوجد ضدّه، ولكن فور ماعلم السيد البروجردى(قـدس سـره) بـذلك، أعلن عن عزمه على مغادرة ايران، وأمر بجمع أثاثه وشدّ رحاله، ولما عرف الشاه ذلك انصرف عن عزمه، لأنه كان يعرف جيّداً انّ معنى هذه الهجرة ايجاد ثورة عارمة عليه، لايُحمد عقباها.

المراجع والأنظمة العسكرية

جاء عبدالسـلام عارف رئيس الجمهوريـة العراقيـة الذى قفز إلى الرئاسة عبر انقلاب عسـكرى إلى كربلاء المقدّسة وكان من عزمه أن يلتقى بالسـيّد الحكيم (قدس سره)، لكن السيد أبى عن استقباله، وعلّق ذلك على استجابته لشرط واحد وهو: أن يعلن فى بيان رسمى عبر الإذاعة – وقبل حصول اللّقاء – عن الغاء كل القوانين المخالفة للإسـلام مثل قانون الأحوال الشخصـيّة، وقوانين الإشتراكية، وقانون التأميم وما أشبه ذلك.

لكـن الرئيس المغرور، الـذى جـاء إلى الرئاسـة على عجلـة الـدبابات، وزئير قاذفـات الصواريـخ، ولهيـب نيران الرصـاص، وبانقلاب عسـكرى، بلاـ موازين صـحيحة، ولاـ مقـاييس دوليـة معترف بهـا، كـان أبعـد من أن يعرف مقـادير الرجـال، ومن أن يضع الاُمور فى مواضـعها، ولـذلك بقى وهو يصرّ على عـدم الإجابـة، وحرم نفسه من الإلتقـاء بالسـيّد وكـان ذلك قبل احتراقه فى الطائرة بما يقارب الشـهر، كمـا لم يجتمع به أحـد من علمـاء كربلاـء المقدّسـة مع انهم كانوا قـد دعوا للإلتقاء به فى روضـة الإمام الحسـين عليه السـلام المباركة، وكان لهذا الرفض المجمع عليه من قبل العلماء الأثر الكبير فى ابتعاد الناس عنه.

المرجعية ومواقفها المشرّفة

أول يـد معتدية امتدّت لخرق القانون الشرعى والعرفى السائد وفتحت ثغرة الإنقلابات العسـكرية فى العراق، هى يد عبدالكريم قاسم، لـذلك لم يسـتجب السيّد الوالـد ولاـ السيّد الحكيم (قـدس سرهما) لطلبه اللقـاء بهم حينمـا أراد أن يزور كربلاء المقدّسـة والنجف الأشـرف، واشترطوا عليه مقدمـة لزيـارته لهمـا أن يغيّر ما جاء به من القوانين المخالفـة للإسـلام، والتى من أهمّها الغاء قانون الإعتراف بالحزب الشيوعى والغاء قانون الإصلاح الزراعى المزعوم، والغاء قانون الأحوال الشخصية.

لكنه على أثر ما أصابه من غرور، وسـكرة المقام والملك، وعدم تقديره موقف مراجع الدين، أصـرّ على عدم اجابته لهم، وأصرّوا هم أيضـاً على عـدم اسـتقباله، فلم يتمّ اللقاء، ولم يمض على الحادث أكثر من سـتّة أشـهر إلا وقـد قامت الثورة ضـده مما أودى بحكومته وحيـاته، وهـذا مصـير كـل من يسـتهين بـالحوزات الشـيعيّة، ولم يعبـأ بمطالبهم الشـرعية، ولم يرما لها من المنزلـة المرموقـة فى قلوب الجماهير.

المرجعية رأفة ورحمة

كان السيّد الوالـد(قـدس سـره) ابان سـيطرة الشـيوعيين على العراق واشـتغالهم بالنهب والهتك وسـفك الـدماء البريئة – يقول: ان دم البرىء لغم موقوت يتفجر فيـدك عروش الظـالمين، ويزيـل حكمهم وملكهم، وانى أتمنّى أن لو كنت أقـدر على أن أكف القتـل عن الجميع وأكون أنا المقتول على أيـديهم مكان من قتلوا فيحدث قتلى ضـجة فى الأوساط ويكون ذلك سـبباً لزوال سـيطرتهم وخلاص الشـعب العراقى المسـلم من ظلمهم، وكان يحز ذلك فى قلبه إلى أن اسـتطاع على عقد الإتّفاق مع علماء النجف الأشرف فى النهوض

ضد الشيوعيين، وقد توفقوا للقضاء عليهم بإذن اللّه تعالى، فزال عن صدر العراق المسلم كابوسهم المرعب، والحمد للّه ربّ العالمين.

بين سلوكين

من المعروف: انه لما توفى صاحب الجواهر(قدس سره) انتقلت الرئاسة العامة بعده إلى الشيخ الأنصارى(قدس سره) وكان الشيخ الأنصارى(قدس سره) يسلك سلوك الزهد فى الدنيا، بينما كان صاحب الجواهر(قدس سره) يسلك سلوك الرؤساء والملوك.

فجاء شخص إلى الشيخ الأنصارى(قدس سره) وقال: أيها الشيخ إن كان مسلككم حقّاً، فإنّ صاحب الجواهر على باطل، وإن كان مسلك صاحب الجواهر حقاً، فإنّ مسلككم على باطل، فأيّهما حقّ وأيهما باطل؟

أجاب الشيخ قائلًا: ليس الأمر كما زعمت محصوراً فى الشقّين، بل هناك شقّ ثالث: وهو انه يمكن أن يكون كلاهما حقّاً، فصاحب الجواهر كان يعكس بسلوكه عظمة الإسلام وشوكته، وأنا أعكس بلوكى زهد الإسلام ويسره، وحيث انّ للإسلام جوانب متعدّدة، كان كل واحد منّا يسلك جانباً منه.

ثم انه بعد أن نقل لى أحد الأعلام هذه القصّة الموحية أردف قائلًا: انّ الأمر كما قال الشيخ، والدليل على ذلك: ماروى انّ شخصاً جاء إلى دار الإمام الحسن عليه السلام فرآها غاصّة بالضيوف وهم على موائد وفيها ألوان الأطعمة، ثم ذهب إلى دار الإمام الحسين عليه السلام فرآه وأصحابه صائمين يتلون القرآن، فسئل من الإمام الحسين عليه السلام عن سبب اختلافه مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام فى اسلوبه؟ فأجاب عليه السلام بما مضمونه: انّ أخى الإمام الحسن أخذ بالجانب الإجتماعى فى الدين، وانّما أخذت بالجانب العبادى فى الدين.

المكافأة على الأعمال

قال لى أحد أعلام قم المشرّفة: انه على اثر اشاعة البهلوى الفحشاء فى العاصمة طهران، ترك السفر إليها طويلًا، فلم يذهب إلى طهران مدة اثنتى عشرة سنة.

قال: ثم صارت لى حاجة فى طهران فسافرت إليها اضطراراً، وفى يوم من الأيام وأنا ذاهب إلى حاجتى فى أحد شوارع طهران رأيت ما أهمنّى فإنّ (البهلوى الأول) كان قد حكم برفع الحجاب عن النساء حكماً جبريّاً، وفرض عقوبات صارمة على المتحجّبات، وكان عمّال الشاه يطبّقونه بكلّ عنف، فرأيت امرأة محجبّة كانت قد خرجت بالعباءة لبعض حوائجها، وإذا بأحد عمّال الشاه أخذ يلاحقها، فلمّا وصل إليها صفعها صفعة شديدة على رأسها.

قال: فدهشت لهذه الحالة المؤلمة وصُعقت من هذا العمل القاسى وأخذت أجود بنفسى من وقع الحادث الأليم، وأُفكّر كيف ينتقم اللّه من هذا الظالم، وبينا أنا كذلك وإذا بعربة تقف بالقرب من الحادث وينزل منها السيّد أبوالقاسم الكاشانى(قدس سره) ويصفع الموظّف صفعة شديدة على رأسه ثم يركب عربته ويذهب، وذهل الموظّف عندما رأى السيّد الكاشانى هو الذى صفعه، ولم يستطع أن يتكلّم بشطر كلمة.

قال: ففرحت بذلك فرحاً شديداً وشكرت اللّه تعالى على أن أرانى كيف جعل الدنيا تكافىء الناس على أعمالهم، ولعذاب الآخرة أخزى وأشدّ، ثم غادرت طهران راجعاً إلى قم المقدّسة.

من آثار الرفق

كان للميرزا الشيرازى الكبير(قدس سره) صاحب قصّة التنباك تلاميذ كثيرون، ومن جملة اُولئك كان هو الشيخ حسن الاصفهانى(قدس سره) المستوطن مدينة مشهد المقدّسة، وكان رجلًا عظيماً، له ختومات، وأدعية وأوراد يومية، وممّا ينقل عنه هو:

انه كان ذات مرة وهو فی طريقه من الكوفة إلى النجف الأشرف، وإذا باللصوص يجتمعون عليه ويأمرونه بأن يتجرّد من ثيابه ويسلمها مع ما فيها إليهم، وفعل الشيخ ذلك حيث تجرّد من ملابسه باستثناء الازار، ثم سلمها إليهم قائلاً: قد وهبتها لكم حتّى لا تقعوا فی معصية اللّه من أجل غصب ملابسی.

وإذا بهذا الكلام يفعل كالمعجزة فی اللصوص، حيث يحصل فيهم ردّ فعل داخلی يقودهم إلى الإنتباه والإرتداع، وإذا بهم لايأخذون الثياب، ويتوبون على يديه قائلين: انه ليس من الحقّ عصيان اللّه تعالی بالسرقة، بعد أن نرى منك مثل هذه الشفقة علينا، وبالفعل فقد تابوا وصار أمرهم إلى خير، وهكذا يفعل الرفق بالنفوس.

الزهد مرقاة الكمال

من المتعارف أن يكون لمن يبدأ بالدراسة زملاء فی الدرس يرتقون معاً مدارج التقدّم، وقد يتّفق لأحدهم سبق الجميع، كما اتّفق ذلك للشيخ الأنصاری(قدس سره) مع زملائه فی الدراسة، فقد كان له زميل ملازم له، لكنه لم يتوفّق لما وفق له الشيخ، وذلك لأن الشيخ توفق لأن يبقى فی النجف الأشرف، حتى استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه، بينما سافر زميله ذلك إلى بلده، وعاد ابان رئاسة الشيخ إلى النجف الأشرف للزيارة والإلتقاء بالشيخ.

فلمّا رأى عظمة الشيخ قال له متسائلاً: شيخنا لقد كنّا زميلين فی الدرس فكيف وصلت أنت إلى ماوصلت إليه اليوم، وبقيت أنا على ما كنت عليه فی السابق.

أجابه الشيخ وهو يشير إلى قضيّة كانت بينهما قائلاً: لأنّی تركتُ أكل الدبس وأنت أقدمت عليه.

وكانت تلك القضية التی اتّفقت لهما فی أيام الدراسة هو انهما قصدا ذات مرّة مسجد الكوفة وهناك صار وقت الغذاء، وأرادا تهيئة الطعام لهما، فلم يجدا عندهما إلا فلساً واحداً وكان رغيف الخبز بفلس واحد آنذاك، وذهب الزميل ليشتری به رغيف خبز يأكلانه معاً، لكنه عاد وقد اشترى خبزاً وشيئاً من الدبس على الخبز.

فقال له الشيخ متعجّباً: بكم اشتريتهما؟

قال: بفلسين.

قال الشيخ: ومن أين لك الفلس الثانی؟

قال: اشتريت الخبز نقداً والدبس دَيْناً.

فقال الشيخ: أما أنا فلا آكل من الدبس شيئاً، لأنی لاأعلم هل أتمكّن من قضاء هذا الدين أم لا؟

فضحك الزميل وقال: وأمّا أنا فآكله وحدی وعلیّ قضاؤه، فأكل هو ولم يأكل الشيخ إلا أطراف الخبز...

نعم الزهد فی الدنيا من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك هو الذی يرتقی بالشيخ الأنصاری(قدس سره) إلى ماارتقى إليه، بينما عدم الزهد يضع زميله على ماكان عليه، ولعلّ الشيخ أراد بإشارته إلى تلك القضية الفات الزميل إلى حقيقة من حقائق الحياة، وإعلامه ومن بلغته القصّة: بأنّ اللازم على طالب العلم أن يزهد فی الدنيا ويحتاط فيما يرتبط بها هذا المقدار من الإحتياط حتّى يصل إلى مرتبة من العلی.

المرجع والمرجعيّة

المرجعية عبیء ثقيل، ومن شروطها حسب ما دلت عليه التجارب أربعة، فلابدّ للمرجع من التحلی بها وتوفيرها فی نفسه وهی:

١ – أن لا يتوقع من الناس شيئاً.

٢ – أن يستعدّ لتلبية كل توقّع من كل أحد حسب تمكّنه.

۳ – أن لا يسيء إلى أحد ولو بشطر كلمة.

۴ – أن يستعدّ لتقبّل كلّ اساءة.

لكن كل ذلك فى الاُمور التى لا ترتبط بالدين، وإلا فاشتراء سخط اللّه تبارك وتعالى برضا المخلوقين يوجب خسران الدارين، أعاذنا اللّه تعالى من ذلك.

المخالف لهواه

قيل: انّ رجلًا رأى ابليس فى المنام، وهو مغضب، وفى يديه مجموعة حبال غلاظ ورقاق، وسلاسل مختلفة، من بينها سلسلة غليظة قد تقطّعت فى سبعة مواضع منها، فسأله عن الحبال والسلاسل التى يحملها فى يديه، وعن السلسلة المتقطّعة ماهى، وما هو سبب تقطيعها؟

فقال ابليس: الحبال والسلاسل آلاتى ووسائلى أغلّ بها الناس وأسحبهم إلىّ.

فقال الرجل: انى أراك غضبان فما هو سبب غضبك؟

فقال ابليس: أردت فى هذه الليلة أن أغلّ الشيخ الأنصارى بأعظم ماعندى من السلاسل وأسحبه إلىّ، غير انى لم أقدر عليه، وكلّ مرّة حاولت ذلك قطع السلسلة وانفلت من شباكى، فكرّرت العملية إلى سبع مرّات، حتّى يئست منه ورجعت خائباً خاسراً، وهذه السلسلة التى تراها مقطوعة هى التى كنت قد أعددتها لأسحب بها الشيخ إلىّ، وانّ ماترى علىّ من غضب فهو من ذلك.

قال له الرجل حينئذ: وهل لك أن ترينى السلسلة أو الحبل الذى تغلّنى به لتسحبنى بواسطته إليك؟

قال له ابليس: شامتاً: انّ أمثالك يأتون نحوى بمجرّد اشارة منّى إليهم، ولا يحتاجون إلى الحبل فكيف بالسلسلة؟

فانتبه الرجل من نومه مذعوراً وذهب إلى الشيخ الأنصارى ونقل له الرؤيا.

فلما سمع الشيخ ذلك استوى جالساً وأخذ يحمد اللّه تعالى على سلامته من مكائد إبليس ووساوسه، وقال: نعم لقد اُصيبت زوجتى فى الليلة البارحة بحالة الطلق والولادة واحتجتُ إلى مال أتمكّن من أن أشترى به ماتحتاج إليه المرأة فى هذه الحالة، فلم يكن عندى شيء سوى وديعة استودعها عندى بعض المؤمنين كأمانة، ففكّرت فى نفسى وقلت: انّ صاحبها يرضى بأن أتصرّف فيها وخاصّة فى مثل هذا الوقت الذى أنا بأشدّ الحاجة إليها، ثمّ إذا وسّع اللّه تعالى علىّ أرجعتها مكانها، فذهب إلى الرف الموجود فيه الأمانة لأخذها، لكنّى احتطت ورجعت، وهكذا إلى سبع مرات، حتى عزمت على عدم الأخذ، وبالفعل تركتها ولم آخذ منها شيئاً، وسهّل اللّه الأمر على زوجتى ووضعت بسلامة، ولعلّ هذا هو تفسير الرؤيا التى رأيتها.

نعم هكذا يحاول ابليس أن ينفذ إلى القلوب ويوسوس فيها، غير انّ أولياء الله قد عرفوا ذلك، فقاموا بتأييد من اللّه تعالى بسدّ الطريق عليه، ليكونوا مصداقاً للحديث الشريف: (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه).

أزهد علماء البلد

يذكر ان أحد الخلفاء قال لوزيره ذات ليلة: ياترى من هو أزهد العلماء فى عصرنا هذا لنذهب إليه فينصحنا؟

قال الوزير: فلان وفلان، فمضيا حتّى وصلا إلى باب دار أحدهما، فطرق الوزير الباب، فجاء العالم خلف الباب وقال: من الطارق؟

قال الوزير: الخليفة بالباب.

قال العالم بكل حفاوة: اصبر حتى آتى بالمصباح، فلم يلبث إلا أن جاء بالمصباح وأقبل نحو الباب وفتحه، وأخذ يسلّم على الخليفة بامرة المؤمنين ويقول: لماذا لم تبعث علىّ حتّى آتيك أنا بنفسى ولا تتحمّل تعب المجىء؟ ثم عرض عليهما الدخول، فأبى الخليفة من الدخول وودعه والوزير وانصرفا، فلما ابتعدا عنه، التفت الخليفة إلى الوزير وقال له: ماأردت مثل هذا.

فذهبا حتى أتيا باب دار العالم الثانى، فطرق الوزير الباب وانتظر فتحه، ولكن لم يُفتح عليهما، فسمعا صوت العالم وهو يتلو القرآن، وبعد عدّة طرقات، قال العالم وهو فى مصلاّه: من بالباب؟

قال الوزير: انّه الخليفة، يريد زيارتك.

قال العالم بكل برودة: فليذهب الخليفة من حيث جاء فإنّى مشغول مع ملك الخليفة - يعنى بالملك اللّه تعالى -.

وكلّما ألحّ الوزير على العالم بفتح الباب، أصرّ العالم على عدم الإجابة، حتّى اضطرّا إلى أن يجعلا سلّماً ويتسلّقا الجدار، ويدخلا عليه فى مصلاّه.

فلما أحسّ العالم بذاك ورأى الخليفة والوزير عنده فى مصلاّه، وقد مدّ الخليفة إليه يده للمصافحة، رأى العالم نفسه أمام الأمر الواقع، واضطرّ إلى أن لا يردّ يده إلا بما يتبّهه به، ويردّه عن غفلته، فلمّا استقرّت يد الخليفة فى يد العالم، قال العالم: آه ما ألينها لنار جهنّم؟ فوقع الخليفة مغشياً عليه من البكاء، فلمّا أفاق جلس بين يدى العالم كالغلام، وطلب منه أن ينصحه، فنصحه العالم بالشفقة على الرعية والعدل فيهم والإحسان إليهم، ثمّ ودّعاه وقاما وخرجا، عند ذاك التفت الخليفة إلى وزيره وقال: لمثل هذا أردت، انه العالم حقّاً.

الساعات الأخيرة

قيل لصاحب الفصول: إذا علمت انّ أجلك قد اقترب، ولم يبق من حياتك إلاّ ساعات قليلة، فماذا كنت تصنع فيها؟

انه سؤال دقيق يرتبط بأمر مصيرى بالنسبة إلى الإنسان، فإنّ آخر ساعات الحياة هى التى يتمكّن فيها الإنسان - بما يفعلها من خير - أن يقرّر سعادته فى تلك الدار الآخرة، فإنّ من اختتم عمره بعمل صالح ختم له بخير، وفى الدعاء: (واجعل أفضل أعمالنا عند اقتراب آجالنا) فما هو أفضل الأعمال حتّى يجعلها عالم جليل كصاحب الفصول خاتمة عمره؟ فهو إذن سؤال دقيق طرحه سائل ذكىّ على رجل خبير، فلننظر ماهو جوابه؟

التفت صاحب الفصول إلى السائل وقال: كنت أجلس على دكّة باب الدار لأقضى حوائج الناس، فلعلّ محتاجاً يأتى ويطلب منّى حاجة فأقضيها له، حتّى ولو كانت حاجته طلب استخارة.

وهذا الجواب من هذا العالم الجليل يدلّ على أهميّة قضاء حوائج الناس وايصال النفع إليهم، فإنّ خير الناس أنفعهم للناس.

وهكذا أراد صاحب الفصول(قدس سره) فى جوابه أن يكون خير الناس فى عقباه، باختتام عمره بخدمة الناس كما كان طيلة عمره فى خدمتهم، ليعلمنا طريق السعادة ويرشدنا إلى مافيه خير الدنيا والآخرة.

أنفع الأعمال

قال لى أحد الأخيار: انه رأى والدى السيّد ميرزا مهدى(قدس سره) فى المنام بعد وفاته، وهو بحالة جيّدة يُغبط لها، قال: فدنوت منه وسلّمت عليه وسألته: ماكان أنفع الأعمال الدنيويّة التى وجدتم ثوابها هناك؟

قال: كان أنفع الأعمال بحالى هو: ماكنت أعطيه للفقراء الّذين يقصدوننى باب الدار يريدون منّى مبالغ قليلة يستعينون بها على اُمورهم - كما هى عادة الفقراء - فإن اسعافهم فى ذلك اليوم كان أنفع الأعمال بحالى هذا اليوم.

ولعلّه هذا إرشاد إلى ماجاء فى الروايات من تحريض الناس على عدم ردّ الفقير؛ فقد ورد الخبر بعدم ردّ السائل ولو كان على ظهر فرس، كما ورد الخبر بأنّ اللّه تبارك وتعالى خلق الجنّة لاُناس وقفوا أنفسهم لخدمة الناس واسعاف الفقراء والمساكين.

العطف على الحيوان

قال أحد العلماء: كنت أعيش أنا وعائلتى الثقيلة فى غاية الفقر والمسكنة، واتّفق أن وقع قحط فى بعض السنين والأعوام، فأخذ أهلى

وأطفالي يتضوّرون جوعاً، وصعب تحمّل الأمر عليّ غاية الصعوبة، فخرجت في طلب شيء أسدّ به رمق الأهل والأطفال، وبعد صعوبات كثيرة حصلت على ريّة شاة، فأخذتها فرحاً وفكرت في الرجوع بها إلي الدار، وفي الطريق وجدت كلبة قد أنهكها الضعف من شدّة الجوع، حتّى وقعت على الأرض وصارت بلاحراك، وحولها جراء لها هزال يمتصّون أثدائها الخالية، مما يزيد في ضعفها.

قال: فوقفت عليها ورق قلبي لها حتى نسيت ما كان من أمر أهلي وأطفالي، وأخذت ألقمها ما معي من ريّة الشاة حتّى أتيت على آخرها، ثم وقفت أنظر إليها، فأحسست بأنّها تقوّت بذلك، ثم هبّت قائمة متوجّهة إلي السماء، فعلمت بأنها تدعو لي وتشكرني على عملي، قال: ومن ذلك الحين أخذ الرزق يدرّ عليّ من كلّ مكان بلا حساب.

مع الملوك والرؤساء

كانت العادة في سابق الأيّام قد جرت على انّ ملوك المسلمين، إذا زار أحدهم العتبات المباركة في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة، زاره بعض العلماء في محلّ نزولهم، وحيث انّ الملوك كانوا يحتفظون بظواهر الإسلام لم يكن ذلك شيناً للعلماء.

حتى زار (ناصرالدين شاه) النجف الأشرف، فزاره العلماء آنذاك في محل نزوله باستثناء الميرزا المجدّد الحاج السيد محمد حسن الشيرازي(قدس سره)، وكلّما حاول حاشية الشاه ترتيب مايقنع الميرزا على زيارة الشاه، أو زيارة الشاه له، أبي ولم يقبل، وأخيراً قرّر أن يتزاور هو والشاه في الحرم الشريف بقصد نصيحة الشاه، ومنذ ذلك الحين جرت عادة العلماء بزيارة الملك في الحرم المطهّر دون الذهاب إلى محلّ نزولهم.

تنازل مقابل رفعة

قيل: انّ علّامة دهره، ونابغة عصره الشيخ البهائي(قدس سره) جاء بصحبة الملك الصفوي إلى النجف الأشرف، واتّفق أن اجتمع بالمقدّس الأردبيلي(قدس سره) وجرى بينهما بحث علمي بحضور من الملك، وبعد نقاش طويل أخيراً كان الغلب ظاهراً للشيخ البهائي (قدس سره).

ولمّا انفضّ المجلس وأراد العلمان الإفتراق، أخذ المقدّس الأردبيلي بيد الشيخ البهائي وانتحى به ناحية البيت، وأورد على مطالبه بما بيّن له خطأه وسقم نظره، وذلك بكلّ قوّة ومتانة.

عندها قال له الشيخ البهائي: فلماذا لم تبيّن هذه المطالب والايرادات في المجلس وبحضور الملك؟

قال المقدّس الأردبيلي: لأنّك شيخ الإسلام في ايران وينظر إليك الملك نظر إكبار وعظمة، فإذا غلبتك أمامه، سقطت من عين الملك وذهب بهاؤك عنده، أمّا إذا غلبتني فإنّ ذلك موجب لعظمتك في عين الملك أكثر من ذي قبل، ممّا ينتهي بالأخرة إلي عزّة العلم وأهله وإجلال العلماء وإكرامهم، بينما لم يكن عليّ بأس، أن اُغلب أمامه، فإنما أنا طالب من طلّاب النجف الأشرف، ورفعة مقامي العلمي وضعته لا تنتجان أمراً، ولذا لم اُبيّن مايرد على كلامك أمام الملك وانّما بيّنت لك الآن المطلب لإظهار الحقّ.

نعم هكذا نفوس طيّبة وقلوب طاهرة تتأهّل لنصرة الإسلام ونشر التشيّع المذهب الحقّ، وتتشرف بزيارة الإمام المهدي عليه السلام ولقائه.

تفقّد أحوال المسلمين

كان من دأب الميرزا الكبير- وكذا يكون دأب العظماء - هو: أن يفحص ويسأل عن أحوال أهل البلاد ويتفقّد شؤونهم، فإذا جاءه أحد من بلد لا يعرفه سأله عن مختلف شؤون ذلك البلد، عن عدد نفوسهم، وعن كيفيّة اقتصادهم، وثقافتهم ومعاملة الحكومة معهم، وعدد المسلمين وغير المسلمين هناك، وإلي غير ذلك من الأسئلة؟

وفی ذات یوم جاءه جماعة من البلاد البعیدة، فأخذ علی عادته یتفقّد أحوالهم، فلمّا وصل السؤال إلی کیفیّة اقتصادهم، قال أحدهم: إنّنا من الفقر بمکان حتّی لا یستطیع کلّ واحد منّا الإنفراد بزوجة خاصة، فنحن – مثلاً– ثلاثة عشر رجلاً ولنا زوجة واحد.

قال المیرزا مندهشاً: ماذا قلت؟

فأعاد الکلام علیه قائلاً: نحن ثلاثة عشر رجلاً ولنا زوجة واحدة مشترکة بیننا.

فتأثّر المیرزا تأثّراً کبیراً وقال لهم: ألم تعلموا أنّ المرأة لا یحقّ لها إلا زوج واحد؟

قالوا: لا.

قال: ألیس عندکم عالم أو رجل دین یرشدکم؟

قالوا: لا.

عندها طلب المیرزا من بعضهم البقاء فی سامرّاء لتحصیل العلم، وقال مشوّقاً لهم: أخبروا أهل بلدکم: بأنّ من یأتی إلی هذه البلاد لطلب العلم، فإنّی مستعدّ لبذل نفقاته.

أقول: لقد سنّ المیرزا بعمله هذا سنّة حسنة، فإنّ قسماً من طلبة العلوم الدینیّة فی النجف الأشرف وکربلاء المقدّسة وقم المشرّفة حالاً من ذلک المکان، وحیث انّ ذکر بلدهم قد یکون خدشاً لکرامتهم أمسکنا القلم عن بیانه.

من شؤون المرجعیّة

لقد کان من عادة علمائنا المراجع أن لا یقطعوا الحقوق الشهریّة عن الطلبة غیر المجدین رجاء استقامتهم واجتهادهم، مقتدین فی ذلک بالإمام أمیر المؤمنین علیه السلام، حیث لم یقطع اعطاء الخوارج من بیت المال، إلا حین حاربوا المسلمین وعاثوا فی الأرض الفساد، وقد نفعه علیه السلام ذلک، بحفظ مثالیته، وبإتمام الحجّة علی الخوارج، وبرجوع کثیر منهم عن غیّه، وذلک لما شاهدوه من عدله وحسن تعامله، ونفع الحوزات أیضاً باستقامة کثیر ممّن کانوا غیر مجدین، ورجوعهم إلی الجدّ والإجتهاد وخدمة الإسلام والمسلمین.

کما انّه کان من عادة علمائنا المراجع أن لاییأسوا کلّ الیأس عمّن انحرف عنهم، ولایطمئنّوا کلّ الإطمینان إلی من انضمّ إلیهم، وذلک اتّباعاً لما ورد عنهم علیهم السلام: (ولا تثقّ بأخیک کلّ الثقة، فإنّ صرعة الإسترسال لن تستقال).

وقد أخذ الشاعر هذا المعنی ونظّمه فی بیت فقال:

احذر عدوّک مرّة واحذر صدیقک ألف مرّة

ولما رأوه من عدم یأس الرسول صلی الله علیه وآله وسلم من المنحرفین فی زمانه وقد انخرط بعضهم بمرّ الزمان فی سلک أقوی مؤیّدیه وأعظم مناصریه.

مع المقدس الکاظمی

یذکر انّ المقدّس الکاظمی(قدس سره) صاحب الوسائل فی الفقه، کان فی الزهادة والورع بمکان، حتّی انه زاره من ایران بعض الشخصیات المرموقة فی سفرة له إلی العراق فی داره، فوجد الدار فی غایة البساطة بادیة علیها آثار القناعة والعزوب عن الدنیا، ووجد صاحب الدار فی غایة العظمة بادیة علیه آثار الزهد والورع.

وبعد أن جری بینهما ماتعارف من التحیّة والترحاب، وتفقّد کلّ منهما أحوال صاحبه، وتزاورا، أطال الزائر جلوسه وهو لا یعلم بأنّ المقدّس قد أخرج زوجته وطفله الصغیر إلی ساحة الدار تحت الشمس المحرقة فی حرّ الظهیرة، ولذلک التفت المقدّس إلی زائره وقال: لو دار الأمر بین مستحب وحرام فما هو الأهم؟

أجاب الزائر: معلوم انّ الحرام هو الأهم، فإنّه يجب ترك المستحب حتّى لا يرتكب الحرام، ثمّ قال: وكيف؟

فأجابه المقدّس: هل تسمع صراخ طفل صغير؟

أنصت الزائر إليه ثمّ قال: نعم وما هو؟

قال المقدّس: انّه وزوجتى تصهرهما الشمس حيث لا ظلال لنا إلاّ هذا المكان وقد أخلياه لنا.

عندها عرف الزائر مغزى سؤال المقدّس فاعتذر من اطالة جلوسه وقام وانصرف وهو معجب بزهد المقدّس وورعه.

ولمّا رجع الزائر إلى ايران، وزاره الملك، سأله: هل أتيت من العراق بهديّة؟

قال: نعم وأعظم الهدايا، ثمّ ذكر للملك ماشاهده من المقدّس الكاظمى من زهد وورع، فتأثّر الملك بذلك تأثّراً كبيراً وأمر بمال كثير للمقدّس الكاظمى، فجىء بالمال مع مبعوثين من قبل الملك إلى الكاظميّة، ولمّا وصل مبعوث الملك إلى الكاظمية زارهما الأعيان والأشراف باستثناء المقدّس الكاظمى، فكلّما ألحّ عليه بأن يزورهما لم يقبل، حتّى اضطرّا - مبعوثا الملك - أن يزوراه بأنفسهما، فأقبلا إلى دار المقدّس وزاراه بأنفسهما، وقصّا عليه قصّتيهما وإرسال الملك المال معهما إليه على أثر ماجرى بين المقدّس الكاظمى وبين زائره، حيث قد قصّ الزائر ذلك على الملك وأطلعه عليه.

فلمّا سمع المقدّس الكاظمى مقالتهما أجهش بالبكاء واعتذر من قبول المال المبعوث إليه وأصرّ على ذلك حتّى يأس مبعوثا الملك من قبوله وأرجعا المال إلى ايران.

وبعد ذلك قيل للمقدّس الكاظمى: ممّ كان بكاؤك؟

قال: من جهة علمى بأنّ ماجرى بينى وبين زائرى قد صار سبباً لأن يذكر اسمى فى ديوان الظالمين.

بين أشياء ثلاثة

قيل: ان الشيخ الأنصارى(قدس سره)كان يقول: ثلاثة أشياء ينبغى للإنسان وخاصّة رجال الدين الإهتمام بها، وذلك بأن يأخذ أولها ولو كان فى ابتداء الأمر غير جامع للشرائط، وأن يترك ثانيها ولو كان فى ابتداء الأمر جامعاً للشرائط، وأن يأخذ بثالثها إذا كان جامعاً للشرائط ويتركه إذا كان فاقداً للشرائط.

أمّا الأوّل: فهو العلم، فإنّه ينبغى للإنسان أن يطلب العلم ويتعلّمه ولو لم يكن فى أول الأمر قصده اللّه تعالى والتقرّب إليه، وذلك لأنّ العلم بالأخرة يجرّه إلى اللّه تعالى.

وأمّا الثانى: فهو القضاء بين الناس، فإنّ القاضى مشكل أمره وإن كان عدلاً فقيهاً، لأنّه كثيراًما يجر الإنسان إلى الحكم بخلاف الحقّ.

وأمّا الثالث: فهو امامة صلاة الجماعة، فإن كان عادلاً أقدم عليها، وإلاّ تركها.

أقول: بهذا الكلام المتين قد أشار الشيخ(قدس سره)إلى خطورة منصب القضاء، ولزوم أن يحتاط القاضى فى الحكم أشدّ الإحتياط.

العبادة و الالتزامات ألاخلاقيّة

ينقل عن الميرزا الكبير المجدّد الشيرازى(قدس سره)انّه كان يقول: إذا لم يحضر إمام الجماعة إلى الصلاة، فعلى المأمومين أن يذهبوا إلى تشييعه، وإذا لم يحضر المدرّس إلى الدرس، فعلى التلاميذ أن يذهبوا إلى عيادته ô كناية عن لزوم حضور الإمام إلى الصلاة حتّى فى أشقّ أحواله، ماخلا الموت، وحضور المدرّس إلى الدرس فى جميع أحواله ماخلا المرض.

تعديل وتصحيح

يقال: انّ أحد زملاء الشيخ الأنصارى(قدس سره) فى الدراسة - وكان ممّن لم يصل إلى ماوصل إليه الشيخ - قال يوماً فى محضر

الشيخ معرّضاً به: من السهل أن يصير الشخص عالماً، لكن من المحال أن يصير انساناً – وكان يقصد بذلك انّ الشيخ عالم ولكن ليس له أخلاق –.

فقال الشيخ(قدس سره)فى جوابه ببساطة وبشاشة: انّه من الصعب أن يصير الشخص عالماً ولكنّ الأصعب هو أن يصير انساناً.

واجبات اجتماعيّة

التجارب دلّت على انّ اللازم على الإنسان – خصوصاً العالم والحاكم – أن لايعادى أحداً، مهما عاداه ذلك الشخص وناواه، إلا فى موارد خاصّة أمره اللّه تعالى بمعاداته، وذلك للمثل المشهور المستفاد من الروايات والأحاديث الشريفة الآمرة بعدم الإستهانة بأُمور مهما كانت تلك الأُمور ضئيلة وقليلة – كالنار، والعداوة، والمرض – فإنّها وإن كانت تأتى فى بادىء أمرها ضئيلة، لكنّها تستفحل وتطغى فلا يدرى الإنسان مايكون نهايتها؟ فربّما أحرقت نار صغيرة مدينة كبيرة، وربّما كانت كلمة جارحة سبباً لحرب طاحنة، وربما صار مرض بسيط مبدأ وباء عظيم يسبّب موت آلاف من الناس.

من أجل إعادة حكم اللّه

نُقل عن المرجع الكبير الحاج آقا حسين القمى(قدس سره)انّه بعد عزل الغرب البهلوى الأول من الملوكية، غادر العراق بصحبة مراجع آخرين إلى ايران لإصلاح ماأفسده البهلوى فيها، ومن جملة مفاسده: إجبار النساء على الخلاعة والسفور، واختلاط الفتيان والفتيات فى المدارس والمسابح وماأشبه ذلك، وانحراف الإقتصاد ومصادرة ممتلكات الناس، وإلى آخر القائمة.

ولما رأى(قدس سره)انّ الهيئة الحاكمة مصرّة على عدم تلبية مطالبه هددّها بالقيام عليها وأعلن قائلًا: بأنّه مستعدّ للمحاربة مع الدولة وارغامها على تطبيق حكم اللّه ولو بإصدار فتوى توجب على الناس النفير العام لمجابهتها وعزم على ذلك، ولما رأت الدولة قيامه(قدس سره) واستعداده إلى هذا الحدّ من التفانى فى سبيل اللّه، وكانت تعرف جيّداً شعبيّته فى أوساط الناس وتأثيره فيهم، هابته وخافت من نفوذه وقيامه وأسرعت إلى تلبية مطاليبه.

وهذه القصّة نفسها مذكورة ولكن بشكل مفصّل وبنوع من الاسهاب فى بعض ما كتبناه، وألمعنا فيها بأنّه هكذا ينبغى أن يكون العالم شجاعاً ومقداماً.

مع طاغية ايران

قيل: ان البهلوى الأول أمر رؤساء الأصناف بأن يطلبوا حضور أصنافهم وأن يأتوا إلى محل الإجتماع هم ونساؤهم سافرات، كل صنف فى يوم، وابتدأ هو بنفسه، ثم الوزراء، ثم الوكلاء، ثم سائر الموظّفين، ثم الكسبة ومن إليهم، وذلك حتى يروّج السفور والخلاعة.

وأخيراً دعى البهلوى إمام الجمعة وقال له: لابدّ وأن تدعو أهل العلم بهذه الكيفيّة، فاستمهله امام الجمعة وهو يعلم انه لو لم يلبّ طلبه كان نصيبه القتل، ثمّ أخذ يفكّر بأنّ خوف القتل هل يكون مبرّراً للقيام بطلب البهلوى أم لا؟

وأخيراً قرّر أن يستشير فى أمره مع مرجع عصره ومعروف دهره السيّد مير محمد البهبهانى(قدس سره)، فجاء إليه سراً واستشاره فى الأمر.

فقال له السيّد البهبهانى: اعلم ان للإنسان أربعة أشياء يحيى من أجلها ويموت وهى عبارة عن: المال، والحياة، والعرض، والدين، وكلّ مرتبة سابقة يفدّى بها من أجل المرتبة اللاحقة إذا دار الأمر بينهما، هذا من جهة، ومن جهة اُخرى يجب أن تعلم انه قد كبر سنّك وطعنت فى العمر ولم يبق من حياتك إلا بضع سنوات على أحسن الفروض، فإذا لبّيت طلب البهلوى فقد اشتريت لنفسك قبال حياة سنوات معدودة، الخزى والعذاب الأبدى، بالإضافة إلى لعنة التاريخ وشجبه ذلك، وإنه لم يلبّ طلب البهلوى فمنتهى الأمر انّك تقتل

فتشترى لنفسك قبال فقد سنوات معدودة من عمرك، السعادة والحياة الأبدية، اضافة إلى ثناء التاريخ ومنحه لك. والعقل يوجب عليك أن تختار ما فيه السعادة الأبدية، إذن: فلاتلبّ طلب البهلوى.

وبالفعل لمّا طلبه البهلوى للجواب، أجابه بكلّ قاطعيّة بالنفى، وأبدى عزمه على عدم تلبية ما أراد منه حتى وإن انتهى به الأمر إلى مالايتحمّل عادة، معلّلاً ذلك بأنه لم يبق من عمره شيء وانه على أعتاب الآخرة، ولابدّ للإنسان من أن يموت، فليكن موته قتلاً فى سبيل اللّه.

ولمّا سمع البهلوى كلام امام الجمعة هذا، قال مغضباً: انّ هذه الجرأة على أن تكلّمنى بهذا الكلام ليس منك، وانما هو من ذلك السيّد، ويقصد به السيّد البهبهانى، وأخيراً حفظهما اللّه تعالى عن أن يصل إليهما مكروه، ونالا بموقفهما المشرف، عزّ الدنيا والآخرة، رحمةاللّه تعالى عليهما.

المرجع أب حنون

ذكر لى الخطيب الكبير والواعظ الشهير الحاج الشيخ مهدى المازندرانى(قدس سره) صاحب التصانيف القيّمة كمعالى السبطين وغيره من الكتب الثمينة، نقلاً عن والده الشيخ عبدالهادى(قدس سره)وكان من تلاميذ الميرزا الكبير المجدّد الشيرازى(قدس سره) قائلاً:

انه لما ولد له الشيخ مهدى تمرض الطفل بعد أيام من ولادته، وكانت زوجة الميرزا لها إلمام بالطب وتعرف طريق العلاج، فأخذ الشيخ وزوجته الطفل إلى دار الميرزا لتعالجه زوجة الميرزا.

فاتّفق أن كانت زوجة الميرزا مشغولة بأمر، فطلبت منهما بأن يأتوا بالطفل بعد ساعة، فانزعج الشيخ، وعاد إلى داره مغضباً وعزم على عدم مراجعتها.

وبعد ساعة أرسلت زوجة الميرزا إليهم ليأتوا إليها بالطفل فتعالجه، لكن الشيخ أبى عليها ذلك، وتكرّر الطلب من ناحيتها مرّات، والشيخ مصرّ على عدم تلبية الطلب.

قال الشيخ: قال والدى: وبينا أنا كذلك وإذا بى أسمع طرق الباب، ولما تقدمت إلى الباب وفتحته، رأيت الميرزا، وخلفه زوجته قد جاءا بأنفسهما.

قال: فخجلت كثيراً وأخذت أعتذر من الميرزا.

فأجابنى الميرزا قائلاً: لابأس عليك، ولكن ألم يكن من المقرّر بيننا أن نكون فى سامرّاء كعائلة واحدة؟

ثم دخلت زوجة الميرزا إلى الدار وجلس الميرزا إلىّ فى الدهليز يحدّثنى، حتّى إذا وصفت الدواء للطفل وعالجته، خرجت من الدار، فودّعنى الميرزا وعاد بصحبتها إلى داره.

قال الشيخ مهدى(قدس سره): وطبت ببركتها بعد أن كنت مشرفاً على الهلاك والموت.

المكافأة بالإحسان

نقل لى أحد الفضلاء، قصّة طريفة عن أحد الخطباء المبرّزين فى طهران وقال: انه بلغ فى الناس منزلة رفيعة وبزغ نجمه حتّى حسده واحد من السادة وأخذ ينتقصه كلّما قام وقعد، وذات يوم كان ذلك الخطيب فى الدار، وإذا بزوجته تدخل عليه وهى باكية محمرّة العين، مبحوحة الصوت، ضيقة الصدر من كثرة البكاء، فسألها عن السبب؟

فأجابت وهى تبكى: ذهبت إلى مجلس وإذا بأحد من السادة يقوم وينتقصك على مسمع من الناس ومنظر، وقد قال فى جملة ما قال: ان زوجته سافرة وهى ترقص فى الملاهى – ومعلوم ماذا يفعل مثل هذا الكلام فى قلب امرأة عفيفة محجّبة شريفة –.

فلمّا سمع الخطيب ذلك قال: لابأس عليك، احتسبى ذلك على جدّه رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذ يسلّيها حتّى سكن

ما بهاô ولم تمض إلا أيّام وإذا بـذلك السيّد يقع في مشـكلتين: مشـكلة التجنيـد، ومشـكلة المرض، فقد كان له ابنان شـمل أحدهما قانون التجنيـد الـذي أحـدثه البهلوي الأول، وأصاب الثاني مرض السل، وكلما حاول الأب اعفاء ابنه الأول من الجندية وادخال ولـده الثاني في المستشفي لم يتمكّن، فقيل له: لاوسيلة لنجاحك في مهمّتك إلا بتوسيط ذلك العالم الخطيب الذي كان ينتقصه هو، وقالوا له: إنّ نفوذه كبير، ولا يتمكّن أحـد من ردّ وساطته، فلم ير السيّد بـدّاً من طرق باب ذلك العالم الخطيب لخلاص ولـديه، وأخيراً جاء وطرق الباب عليه، فأذن له بالدخول.

قال السيّد: فلمّا دخلت عليه تلقّاني بوجه منبسط وصـدر منشرح، ورحّب بي وأجلسـني إلي جانبه وأخـذ يتفقّـدني ويسأل عن أحوالي وكأنّه صديق حميم، ثم سألني عمّا جاء بي إليه، وهل لي حاجة حتّي يقضيها لي؟

فقلت: نعم، وقصصت عليه قصّة ابني الأول وجنديته، وابني الثاني ومرضه.

فقـال: لابـأس عليك، سأتّصل بالمسؤولين وأُكلّمهم في ذلك، ثم اتّصل عبر الهاتف بإدارة التجنيـد وتوسّط في اعفاء ابني الأول فعفي عنه، ثم اتّصل بمدير المستشفي العام وأراد منه ادخال ابني الثاني في المستشفي.

فقال المـدير: لا مكان لنا اطلاقاً، وأراد أن يعتذر من قبوله لولا أن تداركه العالم الخطيب بقوله: انصـبوا له سـريراً في صالة المستشـفي حتي يفرغ سرير داخل الغرفة، ثم انقلوه إليها.

فلم ير المدير بُدّاً من اجابته، ونقل المريض إلي المستشفي لمعالجته، وهكذا قابل العالم الخطيب الإساءة بالإحسان.

الأمانة وثمراتها

قيـل: ان بنت أحـد الملوك الصـفويّين زارت بعض أقربائها في دارهم وبقيت عنـدهم حتّي جنّ عليها اللّيل فخرجت وهي لاتعرف كم مضـي من الليل، ولكن لما توسّـطت الطريق ورأته خالياً من المارة عرفت انه قـد مضـي من الليل شـطر كبير، فاسـتوحشت وخافت ولم تملـك القـدرة علي مواصـلة طريقهـا إلي دار أبيها الملك، ولا علي الرجوع إلي دار قريبها الـذي خرجت عنهم، وبقيت متحيّرة تفتش عن مأمن قريب تلجأ إليه.

وإذا بإحدي المدارس العلمية الشبيهة بالقسم الداخلي المتعارف في المدارس اليوم مفتوح بابها، فدخلته وتوجّهت إلي غرفة من غرفها كانت مفتوحة الباب، وسيّد شاب فيها كان من جملة طلبة المدرسة مشغول بالمطالعة.

فوقفت عليه وحيّته ثم قالت: هل لك أن تستضيفني في مكان أمن سواد هذه الليلة؟

قال السيّد: نعم ادخلي المخدع.

فدخلت وبقيت هناك إلي الصباح، ولمّا أصبح الصباح خرجت من عنده مودّعة دار أبيها وجاءت إلي مقرّ السلطنة، فرأتهم مضطربين أشـدّ الإضـطراب لفقـدها تلك الليلة وقد طلبوها في كلّ مكان فلم يظفروا بها، ولذلك لما مثلت بين يدي أبيها الملك، قال لها أبوها الملك بتأثّر: أين كنت الليلة البارحة؟

فنقلت القصّـة كاملـة، فلم يشأ يصدقها الملك، وأمر بأن يبعثوا إلي القوابل ليفتشوها، فلمّا وجدوها سالمة كما كانت، بعث الملك إلي السيّد يطلب منه حضوره، فلما حضر رآه شاباً في أوّل عمره، فقال له وهو معجب بايمانه وتقواه: ماقصّتك مع ضيفتك البارحة؟

قال السيّد الشاب: الأمر كما حدثتك.

قال الملك: أخبرني كيف استطعت أن لاتتعرّض لها ولو بنكاح حلال، وهي في قبضتك وتحت قدرتك ولم تكن تعرفها؟

قال السيّد الشاب: لأنها استأمنتني ولاذت بي، فلم اُحب الخيانة بها

وفي أثناء المكالمة كانت قد وقعت عين الملك علي أصابع السيّد ورآها مضمّدة، فقال له متسائلاً: مابال أصابعك مضمّدة كلّها؟

قال السيّد الشابّ: انّ الشيطان كان يعترضـني البارحة ويوسوس في صدري بأن أقوم إلي ضـيفي فكنت ازجره، فإذا أحرجني وألحّ

عليّ نفسي وخفت الخيانة أخذت رأس اصبع من أصابعي فوق المصباح لأحرقه بالنار مذكّراً نفسي بنار جهنّم في الآخرة، حتّى إذا احترق، أخذت اصبعي الآخر، وهكذا حتّى أصبح الصباح وقد أحرقت أصابعي العشرة كلّها.

وهنا صدّقت بنت الملك كلامه وقالت: لقد كنت أشمّ عنده رائحة اللّحم المحترق طول الليل ولم أعرف سرّه، والآن قد عرفته.

فتعجّب الملك من أمره، ثم عرض على السيّد الشابّ الزواج من ابنته تلك، فوافق السيّد على ذلك وتزوّج منها وصار بذلك صهر الملك وسمى من بعدها بالسيّد)الميرداماد(يعنى: صهر الملك.

تأليف القلوب

يقال: انه ادعى ذات مرّة رؤية هلال شهر رمضان عند العامة، في سامرّاء ولم يدّع رؤيته أحد من الشيعة فيها، فقام الميرزا المجدّد(قدس سره)بمبادرة حسنة فقال لمن عنده: ادعوا لي من يدّعي رؤيته من العامّة، فدعوهم له، فجاءوا وشهدوا عند الميرزا بأنهم قد رأوا الهلال وشرحوا له كيفيّة رؤيتهم له، ووفقاً لشهادتهم حكم الميرزا بالهلال.

فتعجّب بعض الناس من هذه البادرة وسألوا الميرزا عن السبب وانه كيف اعتمد في الحكم بالهلال على شهادتهم؟

فقال الميرزا: اني كنت قد رأيت الهلال بنفسي وثبت عندي شهر رمضان لكنّي أردت عبر هذه المبادرة جمع قلوب المسلمين، والتأليف بينهم.

وهكذا يكون أولياء اللّه، فإنّ علماء الشيعة دأبوا على ايجاد الالفة والتقارب بين المسلمين، فإنّ في تنفير القلوب منشأ كلّ فساد.

انتقال أعباء المرجعية

قيل عن الوحيد البهبهاني(قدس سره)انه لما طعن في السنّ وصار شيخاً كبيراً، فوّض أمر التقليد إلى السيّد بحر العلوم(قدس سره)، وأمر بإرجاع الناس إليه، ولما سئل عن ذلك قال: اني لشيخوختي وكبر سنّي لاأتمكّن من ادارة الاُمور المربوطة بالمرجع، ولا النهوض بالأعباء الثقيلة للمرجعية، والسيد أقدر منّي على ذلك، وأقوى بالقيام بمهامّ الاُمور، فهو أليق منّي بها. نعم هكذا كان علمائنا الأخيار رحمةاللّه تعالى عليهم أجمعين.

من وعي المرجعية

نقل لي المرحوم الوالد(قدس سره) قصة طريفة اتّفقت للميرزا المجدّد(قدس سره) قائلاً:

انه جاء جماعة من ايران إلى سامراء لزيارة الميرزا المجدّد وذلك بعد قصّة التنباك وكانوا قد أتوا معهم بالهدايا وتحف كثيرة إلى الميرزا، ثم اقترحوا عليه أن يضع منهجاً لتصحيح النظام في ايران، وقالوا: انه لايصح أن يكون الملك مطلق العنان وأن يفعل مايشاء بلا مشورة من العلماء الأعلام مما يسبب كثرة المظالم على العباد، وفساد البلاد، وتخريب الإقتصاد، كل ذلك في مثل هذا البلد المسلم والموالي لأهل بيت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم)

فمن الجدير أن تأمروا بوضع مايُلزم على الملك التقيّد بالمشورة في كل مايريد أن يفعله بالنسبة إلى مايرتبط بشؤون الناس ومصير البلاد، وأن يكون تشاوره مع جماعة من العلماء الأخيار ورجال من الأعيان المتديّنين والمطّلعين على الأوضاع، ثمّ أكّدوا ذلك وكرّروه بصيغ مختلفة وعبارات متفاوتة.

فلم يجبهم الميرزا في مجلسه بشيء وانما أصغى لهم واستمع إلى ما يقولونه بدقّة، وكان من عادته انه يسكت إذا كان لايروق له كلام السائل.

فقاموا وخرجوا من المجلس وطلبوا من بعض أصحاب الميرزا أن يعقّبوا الموضوع، ويأخذوا منه النتيجة ويخبروهم بها.

ولمّا عقّبوا الموضوع وأرادوا من الميرزا الجواب على اقتراح القوم قال الميرزا فى جوابهم: انى أفهم ما يريدون، ولكنّى لا ـ اسبب الاضطراب والفوضى لايران بسبب مايذكرونه من المحاذير وردّ هدايا الجماعة ولم يقبلها، وتبيّن بعد ذلك ان الأمر كان مدبّراً من قبل المستعمرين الطامعين فى بلاد المسلمين، وكان قد أدرك الميرزا القصّة بفراسته، وعرف انها كلمة حقّ يراد بها باطل.

مصارعة الهوى

ذكر لى أحد الأصدقاء انه كان فى طهران، حين ورود المرحوم الشيخ على المقدس، اليها وهو فى طريقه إلى خراسان، فدعى من قبل الأهالى إلى الصلاة بهم جماعة، فوافق الشيخ على طلبهم وصلّى بهم أيّاماً، وازدحم المسجد بالمصلّين من كافة طبقات الناس، وخاصّة بالمقدّسين والأخيار، حتى حسده بعض الناس.

وذات يوم حين كان راكباً على حمار له وهو فى طريقه إلى زيارة السيّد عبدالعظيم الحسنى (عليه السلام) فى رى وإذا به يسقط من فوق الحمار على اُمّ رأسه إلى الأرض وينقل من فوره إلى المستشفى ويبقى فيها تحت العلاج والمراقبة عدّة أسابيع، وكان فى أوائل الحادث على أثر اصطدامه الشديد بالأرض مغمى عليه مما سنحت الفرصة لحسّاده أن يقولوا عنه ان قد جُنّ من أثر الصدفة.

حتى إذا برىء الشيخ مما نزل به وخرج من المستشفى طلب منه مواصلة امامته للصلاة، فلبّى الطلب وخرج وقت الصلاة إلى المسجد، وإذا به يرى انه قد ازدحم المسجد بالمصلّين ازدحاماً منقطع النظير وقد توافد الناس للصلاة خلفه من كل صوب ومكان.

فلما رأى ذلك وكان قد وصله مقالة حاسديه، أخذ يحدث نفسه قائلاً: أين الذين كانوا يقولون عنك انك قد جننت وفسد عقلك ليسقطوك عن أنظار الناس؟ فليحضروا حتى يشاهدوا هذا الإجتماع الكبير، والحشد الهائل من المصلّين!

وبمجرّد أن تمّ حديث الشيخ مع نفسه انتفض وكأنّه أفاق من غشوه، وجذب عنان مركبه ولوّى برأسه ليرجع من حيث أتى.

فقال له بعض من كان بصحبته: إلى أين يا سماحة الشيخ؟

فأجاب قائلاً: إلى البيت.

قال: ولم؟

قال: لأنّه قد حدثتنى نفسى بحديث تبيّن لى منه: انّ امامتى للصلاة من الآن ليست خالصة لوجه اللّه تبارك وتعالى، وانما هى مشوبة بهوى نفسى، وإلا فما أنا والتباهى بكثرة المصلّين المؤتمّين بى؟ وما أنا والردّ على الطاعنين فىّ والباغين علىّ؟ ثم رجع.

ولما علم الناس برجوعه، ازدحموا عليه، وكلما حاولوا ارجاعه لم يقبل بالرجوع ولم يؤمّ بعد ذلك صلاة جماعة مدّة بقائه فى طهران، وانما جمع أمره وسافر إلى مدينة مشهد المقدّسة للتشرّف بزيارة الإمام الرضا (صلوات اللّه وسلامه عليه).

المرجع وموقفه من الناس

قيل: انه لما اتّخذ الميرزا الكبير المجدّد الشيرازى(قدس سره) من سامراء مقراً له ولمدرسته العلمية، ضاق ذلك على بعض السنّة، وفكّر المنحرفون منهم فى انزال الشرّ والسوء بالميرزا، ولذا حرضوا أولادهم برمى دار الميرزا بالحجارة، ثم تعدّى الأمر حتّى أخذوا يرمون دور الشيعة.

فوصل الخبر إلى بغداد وانتشر بين الناس حتى وصل إلى مسامع الحكومة، وإذا بأربعة من السفراء ورجال الحكم: الوالى العثمانى والسفير الايرانى والسفير البريطانى والسفير الروسى يقصدون سامراء للإتّصال بالميرزا واستئماره فيمايجب أخذه من التدابير اللازمة.

لكن الميرزا أبدى عند التقائه لهم عدم اهتمامه بالأمر ممّا أثار تعجّبهم قائلاً: بأنّ أهل سامراء هم مثل باقى المسلمين بمنزلة أولادى وأبنائى والأب لايغضب إذا أساء بعض ولده.

وهنا أصرّ السفير العثمانى على الميرزا بإجازته له فى تعقيبهم وتأديبهم قائلاً: أحمل تراب سامراء بالعَلِق - كناية من انهاكه لهم فى

التأديب -.

ولكن الميرزا أصرّ على الإباء والإمتناع عن أن يأذن له بذلك وصرفهم بسلام.

ولما علم أهالى سامراء بالقضية، واطّلعوا على موقف الميرزا المشرف ونواياه الطيّبة اتّجاههم، ندموا وانقلبوا إلى أولياء محبّين، وتبدّل بغضهم حبّاً وحناناً وندموا على مافعلوا وجاءوا إلى الميرزا تائبين مستغفرين.

فى استقبال الشيخ التسترى

يقال: انّه لما عزم الشيخ جعفر التُسترى(قدس سره)الزاهد المعروف، على زيارة الإمام الرضا(عليه السلام) وسافر إلى ايران واستقبله الناس فى طهران استقبالاً منقطع النظير، وكان قد خرج فى جملة الناس للتفرّج، وليس للإستقبال، السفير الروسى فى طهران يومذاك.

وعندما توسّط الشيخ المستقبلين طلبوا منه أن يعظهم، فرفع الشيخ رأسه وأدار بنظره فى وجوه من حوله من المستقبلين ثمّ رفع صوته فيهم وقال: أيّها الناس اعلموا انّ اللّه موجود، وسكت، وحيث انّ هذه الكلمة كانت قد خرجت من القلب ومن مثل الشيخ التسترى وقعت فى القلب وأثرت أثرها البالغ والمدهش فى النفوس، فجرت الدموع، ووجلت القلوب، وحدث فى حال الناس انقلاباً روحيّاً عجيباً.

فكتب السفير الروسى - وقد اصطدم معنوياً مما رآه من تعاطف الشعب مع علمائه - إلى نيوقولا قيصر روسيا: انه يجب علينا مراجعة نوايانا السياسية تجاه ايران والشعب المسلم واعادة النظر فيها، فإنه مادام رجال الدين والعلماء موجودين بين الناس، وللناس تعلّق كبير بهم، لانتمكّن من فعل أىّ شىء يمسّ كرامتهم ويهدّد استقلالهم، فإنّ كلمة واحدة من واحد من علمائهم كافية لإحداث موجة عارمة فى نفوسهم، فكيف بالأوامر الصارخة والصريحة منهم؟.

على موائد الخلفاء

جاء فى التاريخ انّ أحد علماء العامة ويدعى (شريكا) كان معاصراً للخلفاء العباسيّين وكان من أشدّ الأعداء لهم بحيث لم يكفّ عن معارضتهم أبدا، وكان الخليفة المعاصر يخشى من تأديبه لمكانته فى الناس، فتحيّر الخليفة فى أمره، وأخيراً فكّر فى احتوائه وإغرائه عبر المقام والجاه.

فطلبه ذات مرّة، فأبى أن يلبّى طلبه، وبعد اصرار من الوسائط وافق على الحضور، فحضر مجلس الخليفة، فرحّب به الخليفة وأكرمه وقال له فيما قال: انّك تعلم انّ القضاء هوالأساس المقوم للناس والسبب لايصال كلّ ذى حقّ إلى حقّه، ومن المعلوم: انّ القضاة غير الأكفاء يفسدون أكثر ممّا يصلحون، ولذلك فإنّى رأيت انقاذ الأُمّة بعرض منصب قاضى القضاة عليك.

فأبى (شريك) قبول ذلك وقال: كلاّ فإنّى لاافسد بإصلاح غيرى.

قال الخليفة بعد أن فكّر مليّاً: إذن فهذان ابناى أدّبهما فإنّ الأمر يؤول إليهما، ولو أدّبتهما كانت الأمة بمنجى من غوائل الخلفاء.

قال شريك: انّ الأمر كما تقول ولكنّى غير مستعدّ لذلك.

وكلّما حاول الخليفة اقناعه لأن يوافق على أحد الأمرين لم يزدد شريك إلا إصرارا فى الرفض.

عندها قال الخليفة: إذا كنت لم تقبل شيئاً من ذلك، فكن إذن فى منصب مشاور الخليفة، وأنت خبير بدور المستشار وأثره فى تقويم الخلافة وتطبيق العدالة فى المجتمع.

فأبى (شريك) من قبول هذا المنصب الثالث أيضاً.

وأخيراً قال له الخليفة: إذن فكن ضيفنا هذا اليوم وابق عندنا لتناول طعام الغداء، فقبل شريك ذلك بعد إصرار كبير، وأمر الخليفة بإقامة الضيافة على شرفه، كما وأمر خادمه بأن يقدم له من طعامه الخاص به، ففعل الخادم ذلك، ولما ذاقه(شريك) من الطعام

استساغه، فلم یرفع الید عنه حتّی أکله بالتمام وأتی علیه کاملًا، ولماء جاء الخادم ولم یر من طعام الخلیفة أثراً سأل بعض الحاضرین عمّا فعل (شریک) بالطعام؟

فقیل له: أکله تماماً.

قال الخادم لما سمع ذلک: إذن لن یفلح واللّه بعد أکله هذا أبداً.

وکان کما ذکر، فإنّ (شریکاً) لم یقم من مجلسه هذا حتّی قال للخلیفة: لقد فکّرت فیما قلت فرأیت کلامک حقّاً، وقد قبلت تعلیم الأولاد، ومنصب قاضی القضاة وأن أکون مستشاراً لک.

ففرح الخلیفة فرحاً عظیماً من موافقة (شریک) علی ماعرضه علیه، وأمر بإسناد المناصب الثلاثة إلیه فوراً، وبعد ذلک انتهت معارضته اطلاقاً، وصار موافقاً ومدافعاً.

وفی الأیام الاولی کان مرتبه الشهری یقدم إلیه علی باب داره، ثمّ کان یذهب هو بنفسه لاستلامه، لکن کان یراعی ویقدّم له مرتبه بسرعة واحترام، وبعد فترة جاء شریک ذات مرّة لیأخذ مرتبه، فلم یسرع المأمور بدفع الراتب إلیه.

فغضب (شریک) من التأخیر وصرخ فی وجه المأمور لیعجّل له بمرتبه قائلًا: هات حقّی.

فقال له المأمور بامتعاض: وهل بعتنا شیئاً ترید منّا قبض ثمنه؟

قال (شریک) ببرودة: نعم بعتکم أغلی شیء أملکه وهو دینی.

وهکذا تباع الضمائر والأدیان علی موائد الخلفاء والحکّام، وهکذا أیضاً تفعل المغریات بالنفوس الضعیفة.

فی مجالس الوعظ

نقل عن الشیخ الأنصاری(قدس سره)انه کان إذا جاء من النجف الأشرف لزیارة کربلاء المقدّسة صحبته جماعة من طلّابه، فکان إذا وصلها وتشرّف بزیارة السبط الشهید علیه السلام التفت لمن جاء معه من المصاحبین له وقال لهم: تعالوا نذهب إلی مجلس وعظ الخطیب الشهیر الشیخ جعفر التستری.

ثمّ کان یعقّب کلامه ذلک بقوله: فما أحوجنا إلی استماع الموعظة، فقد مالت قلوبنا إلی القسوة وران علیها.

نعم من الضروری للإنسان وخاصّة المراجع ورجال الدین مطالعة کتب الوعظ کمواعظ البحار، ومجموعة ورّام، وغیرهما، أو حضور مجالس الوعظ وماأشبه.

تصحیح عقائد الغلاة

کان من دأب المیرزا الکبیر، المجدّد الشیرازی(قدس سره)اکبار رجال الدین وتوقیرهم، واحترامهم والاحتفاء بهم جمیعاً، وذات مرّة دخل علیه واحد من رجال الدین، فاحترمه المیرزا غایة الإحترام، وأظهر له من العنایة والإقبال مالم یظهره لأحد، لقد استقبله بحفاوة وشیّعه بإجلال کبیر، مما سبب تعجّب الحاضرین واستغرابهم، فسألوا المیرزا بعد ذلک عن السبب؟

فقال: احترمته لإخلاصه فی دینه، ولواقعیّته وصدقه مع ربّه، ولقدرته النفسیّة العجیبة، انه کان زمیلی فی الدراسة الحوزویّة حتّی إذا أکمل السطوح والدروس العالیة وبلغ درجة الإجتهاد، عزم علی الرجوع إلی بلاده لیکون هناک مرجعاً فی الإفتاء ومتصدّیاً لمسائل الناس وأحکام دینهم، وفی طریقه إلی بلاده مرّ علی منطقة کان یسکنها الغلاة القائلین بألوهیّة الإمام أمیرالمؤمنین(علیه السلام) من نواحی (کرمانشاه)، ولمّا عرف الأمر واطّلع علیهم، رأی أنّ واجبه ارشاد هؤلاء وتصحیح عقائدهم، وانّه مقدّم شرعاً علی الذهاب إلی بلاده لإفتاء الناس وتصحیح فروعهم، فترک العودة إلی بلاده وبقی هناک، وبدأ عمله من المسجد، فقد قام فیه معلناً لأهل القریة: بأنّه معلّم، ومستعدّ لیعلّمهم الکتابة والقراءة بثمن زهید لایتجاوز سدّ رمقه.

فتكاثر عليه التلاميذ وأخذ يعلّمهم إضافة إلى القراءة والكتابة، اُصول الإعتقاد وسائر الاُمور الإسلاميّة وبقى هنا حتّى ربّى جيلًا مؤمناً تحوّلت القرية على أثرهم إلى قرية شيعيّة، وصار أهلها شيعة بعد أن كانوا من الغلاة، وذلك على أثر تضحية هذا الرجل وتفانيه فى سبيل اللّه، والإغضاء عن مصالحه ومآربه الشخصيّة، ولذلك فهو جدير بهذا الإحترام، ولائق بالتجليل والتقدير.

من مهامّ المرجعيّة

انّ من مهامّ المرجعيّة تعيين وكلاء أكفاء يكونون حلقة وصل بين المرجع وبين مقلّديه، ينقلون إليهم فتاواهم، ويقومون بشؤونهم الدينية، وكان السيّد أبوالحسن الاصفهانى(قدس سره) من بين المراجع نموذجاً فى حسن التوكيل وكثرة الوكلاء فى أطراف البلاد الإسلامية، وذات مرّة اشتكى أهل إحدى البلاد إلى السيّد أبوالحسن الاصفهانى(قدس سره) من وكيله.

فاستدعاه السيّد إلى النجف الأشرف وطلب منه الالتقاء به، فجاء الوكيل وجلس فى المجلس بعيداً عن السيّد، حيث كان المجلس غاصّياً بالناس، ولمّا تفرّق الناس وخف المراجعون، طلبه السيّد قريباً منه، فجاء مهرولاً ـ إلى السيّد حتى جلس عنده، فالتفت إليه السيّد(قدس سره) وقال له بعد أن سأله عن أحواله: هل تعرف لماذا بعثت إليك؟

أجاب: لا.

قال السيّد: بعثت إليك لأطلب منك البقاء عندنا فى النجف الأشرف ومواصلة دروسك، فابق معنا ولاترجع إلى منطقة تبليغك، فسوف نرسل إليها من يكفيك عنها.

قال: لابأس وبقى ليواصل دروسه، ثم ودّع السيد وقام وانصرف.

فلمّا انصرف قيل للسيّد: انّك لم تتحقّق منه عن الأمر وعزلته بلا تحقيق؟

قال السيّد: نعم انى كنت قد طلبته للتحقيق، ولكن لما استدنيته منّى هرول فى المجلس بطريق غير معتاد مع انه لم يكن مكان هرولة، فعرفت انه لايصلح للوكالة وان الحق مع الّذين اشتكوا منه، لكن حيث انى لم أرد جرح عواطفه ولا ـ إذهاب ماء وجهه، أمرته بالبقاء عندى بدون أن أذكر له السبب، نعم هكذا ينبغى مراعاة حرمة رجال الدين، والمحافظة على مكانتهم الإجتماعية.

مداراة الناس

قيل: انه كان أحد رجال المنبر مخالفاً للمرحوم السيّد محمد كاظم اليزدى، وكان يعرّض به احياناً على المنبر.

قال أحد العلماء: فاتّفق لى أن كنت فى مجلس وكان فيه السيّد اليزدى(قدس سره) حاضراً، فجاء ذلك الرجل المخالف وصعد المنبر وهو لايعلم بحضور السيّد -لأنّه لأجل تقصيره فى حقّ السيّد ماكان يتجرّأ على صعود المنبر عند حضوره ومشاركته فى المجلس- وفى الأثناء وقعت عيناه على السيّد، فارتبك واضطرب، وتلجلج فى كلامه، حتى انه أخطأ فى بيان مسألتين شرعيّتين كان قد شرع فى الكلام عنهما ممّا ألفت نظر الجميع إلى خطئه وأخذوا يرقبون ردّ السيّد له.

لكن السيّد(قدس سره) لم يتكلّم بشىء ولم يعترض عليه حتى نزل الرجل عن المنبر، فطلبه السيّد ونبّهه على خطئه، وذلك بعد إقبال شديد منه عليه، واحتفاء كبير به، حتّى كأن لم يكن بينهما حزازة أبداً، ثم قام الرجل وانصرف.

قال وهو يواصل قصته: فحضرت المجلس فى اليوم الثانى أيضاً، لأرى نتيجة ماحدث بالأمس، فإذا بالرجل جاء وصعد المنبر وتلا فى طليعة منبره آية التوبة، ثم أعلن توبته عمّا كان يبدر منه احياناً من سوء الأدب والإساءة إلى السيّد وقال: انكم جميعاً قد رأيتم قصّتنا يوم أمس، فقد كان للسيّد الحقّ شرعاً وعرفاً فى الإعتراض علىّ من تحت المنبر، لأنّى قد بيّنت الحكم مخالفاً للشرع اشتباهاً، وكان فى ذلك افتضاحى وانكسارى، ولكن السيّد لم يفعل ذلك مع ما كان يصله عنّى من سوء أدب وإساءة بالنسبة إليه، وانما دعانى إليه، وبعد اكباره واحترامه لى أخذ يتبهنى بكلّ رحابة على اشتباهى فى الحكم الذى ذكرت، ثم عقّب كلامه ذلك بقوله: نعم وهكذا

يكون أخلاق مرجع كبير ونائب للإمام المهدى عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف حقّاً كالسيّد.
ثم قال: الآن أنا نادم ممّا فعلت سابقاً ومعتذر إليه وإليكم، والعذر عند كرام الناس مقبول.

الإحسان مقابل الإساءة

حكى عن الميرزا الشيرازى(قدس سره)أيّام تواجده فى سامراء بأنّ جماعة من أهالى سامراء غير الشيعة كانوا قد أغروا صغارهم وشبانهم لأذيّة الميرزا والشيعة، وتحمل الشيعة منهم الأذى بأمر الميرزا، وفى ذات يوم أراد أحد أُولئك الشبان أن يتزوّج، فقال فى نفسه: سوف أذهب إلى الميرزا وأطلب منه مؤنة الزواج فإن أعطانى شيئاً فهو، وإلا اذيته.
وبالفعل جاء إلى الميرزا وعرض عليه أمر زواجه ثم طالبه بمساعدة مالية.
فقال له الميرزا: وكم مصرف زواجك؟
قال الشاب بمبلغ ذلك اليوم: خمسون ليرة.
فأعطاه الميرزا المبلغ من دون مماكسة، فتعجبّ الشاب كثيراً وجاء إلى أبيه وحكى له القصّة، فتعجّب أبواه أيضاً وانبهر من مقابلة الميرزا إساءتهم بالإحسان، وأخذ يحكى القصّة لكلّ من يراه، حتّى انه حكى ذلك فى ديوان أحد شيوخهم فى سامرّاء، فتعجّب الجمع، وقالوا بكلمة واحدة: لاينبغى ايذاء مثل هذا الرجل الكريم.
ثم قام جماعة من الشيوخ ومعهم القرآن الحكيم والسيف وأتوا إلى دار الميرزا وكان مثل هذا العمل عادة منهم لإظهار التوبة عند الكبراء، فلمّا التقوا بالميرزا قالوا له وهم نادمون معتذرون: انّ أولادنا آذوك ولم يحفظوا حرمتك، وقد جئناك معتذرين، فإن رأيت أن تغفر لنا وهذا القرآن نحلف به أن لانعود إلى مايسخطك عنّا أبداً، وإن رأيت أن تقتص منّا فهذا السيف خذه واقتص به منّا.
فأجابهم الميرزا بكل عطف وحنان قائلاً: لابأس عليكم، انّ هؤلاء الشباب أولادى، وهل يقتص الأب من أولاده؟ ثم انى مطمئنّ بحسن جواركم، وطيب تعاملكم، فلا حاجة لشىء من الأمرين، فشكروا الميرزا على قبوله عذرهم وقاموا وخرجوا من عنده وهم فرحون مستبشرون، وصار هذا الصنيع من الميرزا سبباً من أسباب الأُلفة بين السنّة والشيعة، والإجلال والإكبار من الأهالى للميرزا وأصحابه.

مصاهرة الملوك

يقال: انه كان للميرزا القمى(قدس سره) صاحب (القوانين) ولد بلغ سنّ الرشد وحان وقت زواجه، وكان للملك المعاصر لصاحب القوانين (فتح على شاه) بنت أراد تزويجها منه، فأرسل الملك رسوله إلى الميرزا القمى ليكلّمه فى هذا الموضوع.
فلمّا جاءه الرسول وأخبره بالخبر، قال الميرزا: سوف اجيب.
ولما رجع رسول الملك، تفرغ الميرزا لمناجاة ربّه، وأخذ يدعو اللّه ويقول مامضمونه: اللّهمّ إنى أشكو إليك مافى مصاهرة الملوك من البلايا والفتن، والإقبال على الدنيا والعزوف عن الآخرة، وما لايليق بالعلماء ورجال الدين، اللّهمّ وانّ ابنى هذا ممّن سلك طريق العلم وهو يريد رضاك، اللّهمّ فإن كان نجاة ابنى من هذا البلاء بالموت، فإنّى أطلب منك موته - كل ذلك خوفاً منه مما يجرّه مصاهرة الملوك على الإنسان من الدخول فى الدنيا وزخارفها ونسيان الآخرة وخسرانها -.
وبالفعل فقد استجاب اللّه دعاءه وأخذت الولد الحمى من فوره ولم تمض ثلاثة أيّام من دعاء الميرزا إلاّ والتحق الولد بالرفيق الأعلى.
ومثل هذه القصّة ينبغى أن تكون درساً لرجال الدين، مع العلم انّ (فتح على شاه) كان مجازاً من قبل الشيخ جعفر كاشف الغطاء(قدس سره) فى ادارة اُمور البلاد ورعاية شؤون العباد، فإنّ الإجازة موجودة بنصّها فى كتابه كشف الغطاء، وكان نوعاً مّا مواظباً على الأحكام الشرعيّة.
وينقل عن أحد العلماء انه قال: ذات مرّة سافرت من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة وحين كنت أزور فى الحضرة الحسينية عليه

السلام إذ رأيت (فتح على شاه) جاء إلى قرب الرأس الشريف ودموعه جارية على لحيته، ثم ذهب خلف الرأس ورجع، قال: فتعجّبت كيف جاء الشاه إلى العراق ولم نعلم به وكيف انه وحده يزور بلا كوكبة وحشد؟

قال: فخرجت فى أثره لُأحقّق الأمر فلم أجده فسألت عن الخدم عنه؟

قالوا: لم نجد ما قلت وأنت مشتبه، فزاد تعجّبى وسألت عن حافظى الأحذية(الكشوان) وأجابوا بمثل أجوبة الخدم فخرجت من الحضرة وأرخت القصّة، ولم تمض إلا أيام حتّى جاء نعى الشاه وانه كان مصادفاً لنفس ذلك اليوم الذى رأيته فى الحضرة الحسينية.

شورى المراجع

كان ناصر الدين شاه - على ما قيل - يتّخذ القرارات السياسية المرتبطة بشأن البلاد والعباد وحده بلا مشورة من مراجع الأُمّة الفقهاء، ولا ـ طلب رأى من العلماء الأعلام، ولذلك كانت الإعتراضات تتوالى من العلماء والمراجع على قراراته غير الصائبة، عملاً بوظيفتى: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وكانت هذه الإعتراضات تقلّل من شخصيّة الشاه وتعرضه للسقوط فى أنظار الشعب.

وتلافياً للأمر كان الشاه يضغط - ولكن بكل خفاء - على العلماء والمراجع حتى لايتجرّءوا على معارضته بتصوّره.

وكان من جملة أُولئك المعترضين المرحوم الفشاركى فى اصفهان، ففكّر الشاه فى طلبه وتهديده بالكفّ عن معارضته، واستقدمه لذلك.

فوصل خبر هذا الأمر إلى أحد علماء طهران وعلم بأنّ الشاه يقصد من استقدام الفشاركى(قدس سره) تنقيصه وتهديده، ورأى انّ هذا الأمر لو توفّق له الشاه، تعرّضت كرامة كلّ العلماء والمراجع إلى الخطر، ففكّر فى العلاج، فرأى انه لم يكن هناك شىء يعالج الأمر بسلام، ويصدّ الشاه عن نواياه أفضل من اتّحاد العلماء والمراجع فيما بينهم.

وانجازاً لهذه المهمّة، اتّصل ذلك العالم الفقيه ببقيّة علماء طهران وقام بزيارتهم بنفسه ليلًا، وأعلمهم باستقدام الشاه للعالم الفاضل: الفشاركى إلى طهران وما ينويه تجاهه، وحذرهم من مغبة الأمر، وانه إذا تم للشاه ماينويه تجاه الفشاركى فسوف يسهل عليه التعرّض لهم أيضاً، اضافة إلى انه منكر شرعاً ويجب عليهم ردعه.

ولاتّخاذ موقف موحد عقدوا اجتماعاً طارئاً بحثوا فيه كيفيّة مواجهة الشاه، وخرجوا باتّخاذ القرار التالى: وهو أن يعلنوا فى الصباح المبكر من يوم غد عن خروجهم إلى استقبال الفشاركى، وفور ما سمع الناس هذا أغلقوا محلاتهم وتركوا أعمالهم وخرجوا بصحبة علمائهم للإستقبال خارج المدينة.

فورد الفشاركى(قدس سره)على المستقبلين بكلّ عزّ واحترام، ونزل ضيفاً على علماء طهران الذين كانوا فى مقدّمة المستقبلين، ولما رأى الشاه ذلك، قال لوزيره: أرأيت كيف اتّحدت العمائم ضدّى؟

قال الوزير: والآن لاعلاج إلاّ أن تزوره وتكرمه وتعتذر منه.

وقبل الشاه ماأشار عليه الوزير وفعل ذلك وانتهى الأمر بانتصار الدين ورجاله، وعظمة الإسلام وأهله ببركة ذلك الإتّحاد المنبعث عن العقل والرؤية الصائبة.

نعم انّ (شورى الفقهاء المراجع) ضرورة دينيّة ملحّة، وواجب شرعى وعقلى، وخصوصاً فى هذا العصر الذى لم ينفرد شخص واحد أو جهة واحدة بالعداء ضد الاسلام، وانما أحاط الأعداء بالمسلمين من كلّ جانب.

من حزم المرجعيّة

يحكى انه وقع قحط فى بغداد أيام مرجعيّة السيد المرتضى علم الهدى(قدس سره)، وحيث ان السيّد كان يجرى على طلبة العلم ورجال الدين الذين يحضرون درسه فى بغداد المرتّب الشهرى، احتال يهودى للتوصّل إلى المرتّب الشهرى والحصول عليه بإظهار

الإسلام، والإنضمام فى صفوف الطلبة.

فأظهر اليهودى الإسلام وجاء إلى درس السيّد، وذلك فى تلك الأيّام العجاف، والقحط الشديد، فقبله السيّد وأجرى له مرتّباً شهريّاً كما يجريه لبقيّة طلبته، وأحسن معاشرته.

فلمّا رأى اليهودى حسن معاشرة السيّد، وطيب معاملة المسلمين، أسلم قلباً وآمن حقيقة، وبقى يواصل دراسته عند السيّد، ولم يفارقه حتّى الموت - وذلك بعد أن هدى إلى الإسلام جماعة من أقربائه وذويه اليهود - وهذا كان من بركة حزم السيّد(قدس سره) وحسن تقديره.

بين الاُستاذ وتلميذيه

قيل: انّ الشيخ المفيد(قدس سره) رأى ذات مرّة فى عالم الرؤيا انّ فاطمة الزهراء صلوات اللّه وسلامه عليها أتته بولديها الإمامين: الحسن والحسين عليهم السلام وقالت له: ياشيخ علّمهما الفقه.

وفى صباح الغد أتت السيّدة فاطمة والدة السيّدين: الرضى والمرتضى بابنيها إليه وقالت له: ياشيخ علّمهما الفقه.

فعرف الشيخ - على أثر الرؤيا التى رآها - انّ لهذين الولدين السيّدين يكون شأناً كبيراً، فاهتمّ بتعليمهما وتأديبهما.

وبعد مدّة جيء إلى الشيخ المفيد(قدس سره) بهديّة مجموعة أمشاط، فوزّعها على الطلّاب ماعدا السيّدين: الرضى والمرتضى (قدس سرهما).

فقيل له فى ذلك؟

فقال: انىّ لأعلم أنّهما قد التحيا، إذ عند مجيئهما إلىّ كانا شابّين أمردين وسيمين، فلم أنظر فى وجههما منذ ذلك اليوم.

نعم كلما ازداد تقوى الإنسان وورعه ازداد احتياطه واجتهاده فيما يبعده عن موارد الريب والشك، إضافة إلى انّه كان بعمله ذلك يريد تربية مجتمعه على الحياء والعفّة وغضّ الطرف.

الترحيب بالضيف

قيل: انه كان من عادة الميرزا الكبير المجدّد الشيرازى(قدس سره)أن يأكل فى اليوم مرّة، لا ثلاث مرّات، كما اعتاد عليه معظم الناس، واتّفق أن ورد عليه الشيخ حبيب اللّه الرشتى(قدس سره) ضيفاً، فكان الميرزا قد أمر بتهيئة الطعام له فى وجبات ثلاث وكان هو يحضر على المائدة فى الأوقات الثلاثة احتراماً له، وإن كان لايأكل إلا مرّة واحدة على عادته السابقة، وكان ذلك مع كثرة اشتغالاته وقلّة وقته(قدس سره).

مع قائد ثورة العشرين

يقال: انه جاء رجل إلى المرحوم الشيخ ميرزا محمّدتقى الشيرازى(قدس سره) قائد ثورة العشرين، الثورة العراقية المعروفة ضدّ المستعمرين الانجليز، فسبّه وأكثر من الوقيعة فيه، والمرحوم ساكت لا يتكلّم.

وبعد ذلك أمر الميرزا بإرسال مقدار من الدابوعة (الرقّى) والنقود إلى داره.

فقيل له فى ذلك؟

فقال: انّ درجة حرارته قد ارتفعت، وهذا كان من أثرها، والدابوعة تخفّف من شدّة الحرارة فبعث بها إليه ليعالج بها نفسه، ويتخلّص من العناء الذى ابتلى به، هذا وقد جرت العادة فى سامراء بإرسال الطعام والفاكهة إلى بيوت أهل العلم والفقراء من أهل البلد.

التأديب بالإحسان

نقل عن الآخوند(قدس سره) صاحب الكفاية، انه كان رحب الصدر كبير النفس، لا يعبأ بمن يهجوه أو يجفوه ولا يلتفت إليه، هذا مع عظم مرجعيّته وكبير شوكته، وممّا يدلّ على ذلك القصّة التالية:

انّه كان أحد الطلّاب يهجو الآخوند(قدس سره) ويذكره بسوء، وذات يوم سمع الآخوند بأنّ للّذى يهجوه مريضاً، واتّفق أن مرّ به فى بعض الطريق ذلك الطالب حاملاً طفلاً له.

فسلّم عليه الآخوند وقال له وهو يتفقّده: كيف حالك؟

فأجاب بكلّ برودة، ثم قال ذلك الطالب: فرأيت الآخوند يصافح ولدى ولم أفهم قصده من مصافحته، ولكن بعد أن ودّعنى وذهب رأيت انّ فى يد ابنى سبع ليرات ذهبيّة، مما ظهر انه(قدس سره) قد أعطاه المال اشفاقاً عليه، وإن كان هو يهجوه ويظهر الجفاء له، وبهذا انقلب الطالب الذى كان يهجو الآخوند(قدس سره)إلى رجل يثنى على الآخوند ويمدحه.

من مكارم الأخلاق

حكى عن السيّد محمّد الحجّة الكوه كمرى(قدس سره)انه قال: أول ما وردت مدينة قم المقدّسة ذهبت إلى حرم السيّدة فاطمة المعصومة للزيارة والصلاة.

وفى أثناء الزيارة إذا برجل جاء إلىّ وأخذ يهمس فى اذنى بشىء، فلمّا أصغيت، إذا هو يكيل لى التهم والأكاذيب، ويرشقنى بوابل من الكلمات اللاذعة، والسباب والشتائم القبيحة.

فلم أرد عليه بكلمة، فذهب لكنه لم يلبث أن عاد وكأنّه لم يبرد غليله حيث جاء وأخذ يهمس فى اذنى الثانية بما همس فى الاولى أوّلاً.

وفى هذه المرّة أيضاً لم أردّ عليه بكلمة، فذهب ثمّ جاء ثالثاً وقال مهدّداً: لا أدعك تبقى فى قم فارجع من حيث أتيت، ثم أخذ يسبّنى بما يحلو له من سباب حتى أفرغ ما فى قلبه، ثم ذهب، كل ذلك وأنا ساكت، لم أرد عليه حتى بشطر كلمة، لكن سكوتى هذا جعله يرجع إلى نفسه، ويتوب إلى ربّه، وينقلع عن التعرّض لى بسوء حيث لم يمسنى منه مكروه طيلة توقّفى فى قم المقدّسة ومدّة اقامتى فيها مشتغلاً بالدرس والتدريس.

من هو الأعلم؟

نقل لى أحد الخطباء عن والده قائلاً: كان المرحوم الشيخ حبيب اللّه الرشتى يرى نفسه أعلم من الميرزا المجدّد(قدس سره)، لكن الزعامة الدينية كانت مع الميرزا، وذات يوم كنت عند الشيخ الرشتى والمجلس غاص بأهله، إذ سأله أحد الحاضرين قائلاً: انّا كنّا نقلّد الشيخ الأنصارى(قدس سره) ونرجع إليه فى مسائلنا، فمن نقلّد الآن بعد وفاة الشيخ(قدس سره) وإلى من نرجع؟

فأجابه الشيخ الرشتى وقال: اسألوا أهل الخبرة عن ذلك.

قال السائل: وأىّ شخص هو أكثر منكم تخصّصاً فى الخبروية؟

فأجابه قائلاً: قلّدوا مرجعاً يجوز تقليده.

فقال السائل: ومن هو الأعلم بنظركم القابل للتقليد؟

فقال الشيخ الرشتى(قدس سره): وماذا تريد من الأعلم؟ انّ الميرزا المجدّد الشيرازى اليوم بيده لواء التشيّع، وفى حوزته الزعامة الدينية، والمرجعيّة الشيعيّة، فالتفوا حوله، لئلّا يسقط اللواء.

قال الراوى: فتعجّبت من كلام الشيخ وزاد اخلاصى له وحبّى إيّاه، لأنه لم يقل ما لايكون فى نظره صحيحاً، ولم يوجه الرجل إلى نفسه، بل عظّم من بيده لواء التشيّع، ورفع من شأنه، وهذا لايكون إلّا لمن ربّى نفسه على الأخلاق والمكارم.

العلماء ورثة الأنبياء(ع)

حكى عن أحد رجال الدين انه كان ابان قضايا المشروطة والمستبدّة من أشدّ الناس تحاملاً على المستبدّين، وبالأخص السيد محمد كاظم اليزدى(قدس سره) وكان وكيلاً من قبل أحد العلماء فى بعض بلاد العراق، فلمّا توفى ذلك العالم وصارت الزعامة الدينية والمرجعية الشيعية إلى السيّد سقط فى يد الوكيل ولم يعرف ماذا يصنع؟

وأخيراً فكّر فى أن يأتى إلى أحد المقرّبين من السيّد ويوسّطه فى قضيّته، وهكذا فعل، فقد جاء إلى النجف الأشرف ولقى بعض المرتبطين بالسيّد وأخبره عن أمره.

فقال له: لابأس عليك كن فى الصحن الشريف بعد صلاة العشاء حتّى نذهب إلى السيّد وأتوسّط لك عنده.

فانتظر الوكيل الوسيط بعد الصلاة، ثمّ التقيا معاً بالسيّد.

عندها قال الوسيط للسيّد: سيّدنا كان هذا الرجل من المتحاملين عليكم وهو اليوم نادم على ماسبق منه إليكم، وقد جاءكم تائباً ويريد منكم الوكالة ليبقى فى مكانه السابق ويكون وكيلاً عنكم.

فقال السيّد: بكلّ انبساط وبشاشة: لابأس، فليأت إلى البيت لأكتب له الوكالة.

وبهذه البساطة عفى السيّد اليزدى(قدس سره)عنه وقبل منه عذره، ولاعجب، فإنّه من حيث النسب ابن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن حيث الحسب وريث رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) فإن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم)عفى عن أهل مكّة حين جاءوا إليه معتذرين وبكلّ بساطة.

المرجعية حلم وحزم

نقل لى احد رجال الدين الثقاة وقال: كنت جالساً فى صحن الإمام الحسين عليه السلام قرب باب الزينبيّة وكان الى جنبى رجل آخر كان قد جلس بانتظار أحد، وفى هذه الأثناء وإذا بالسيد أبوالحسن الاصفهانى(قدس سره) قد خرج من الروضة المباركة قاصداً باب الزينبيّة وخلفه بقليل جماعة من حاشيته.

فقال الرجل الذى كان قد جلس إلى جنبى: سأذهب لأسمع السيد ما اريد، ثمّ قام ولحق السيد وأخذ يهمس فى اذنه شيئاً حتى غاب عن نظرى.

وبعد قليل جاء الرجل والى مكانه الأوّل وجلس فيه وهو يبكى ويرتجف، فتعجبت من حاله وقلت له: ماذا دهاك؟

فأجاب بعد ان سكن اضطرابه وقال: ذهبت الى السيد وأخذت أسبّه فى اذنه بكل سب لاذع، والسيد ساكت لا يتكلم، حتى وصلت معه الى باب داره.

عندها التفت الىّ السيد وقال: ابقى فى مكانك ثمّ دخل الدار وخرج وناولنى ظرفا فيه كميّة من المال وقال: اذا كان لك حاجة فراجعنى شخصيّا، ولا تراجع غيرى حتى يصدوك عنى، ثمّ قال لى السيد: انى مستعد لأن اسمع كل شتم، لكن رجائى ان لا تسمعنى بعد ذلك سب العرض والأهل.

ثمّ اضاف الرجل قائلاً: فأحدث فىّ هذا الخُلق الكريم من السيد ردّ فعل عجيب جعلنى أرتجف وأبكى كما ترى.

مع فتوى الميرزا المشهورة

يقال: انّه لما حرم الميرزا الشيرازى الكبير(قدس سره)التنباك، فكر الاستعمار البريطانى ان يقوم عبر سفارته فى بغداد بنقض حكم الميرزا بسبب احد العلماء، فحركت السفارة عبر الوسائط - بحسب عادتها - جماعة من الوجهاء فجاءوا الى المرحوم الشيخ زين العابدين المازندرانى المعاصر للميرزا الكبير وذلك فى يوم كان مجلس الشيخ غاصاً بأهله ولما استقروا سأله أحدهم قائلًا: ما تقولون فى هذا الحديث: حلال محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) حلال الى يوم القيامة وحرام محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) حرام الى يوم القيامة.

قال الشيخ: حديث لا اشكال فيه.

فقال السائل: أخبرنى هل التنباك كان حلالًا قبل تحريم الميرزا أم كان حراماً؟

وهنا عرف الشيخ بالمكيدة، فأجاب قائلًا: كان حلالًا.

قال السائل: فبمقتضى هذا الحديث هو حلال الى هذا اليوم والى يوم القيامة، ولا اثر لتحريم الميرزا؟

قال الشيخ: لا ليس الأمر كما زعمت، بل انّه حرام الآن بسبب فتوى التحريم ولا منافات بين هذا الحديث الشريف وبين فتوى الميرزا بالتحريم، وذلك لأنّ العناوين الأولويّة، تبقى على حالها ما لم يصادمها عنوان ثانوى فإذا صادفها تغيّرت، كالصوم الذى هو واجب الى الأبد ما لم يطرأ عليه عنوان الضرر، فإذا طرء عليه عنوان الضرر صار حراماً، والتنباك حلال فى ذاته لكن طروّ عنوان الضرر عليه صيّره حراماً، فافتى الفقيه الجامع للشرائط والمرجع البصير بالاُمور بحرمته، فأصبح حراماً بفتواه، فهو من اليوم حرام حتى يرجع الميرزا عن حكمه وذلك فيما اذا ذهب العنوان الثانوىô

وبهذا الكلام اكد الشيخ، فتوى الميرزا بالتحريم فسدّ طريق الاعتراض على المعترض بحيث لم يجد ثغرة يتسلل منها الى مآربه.

الحزم مع الملوك

قيل: انه كان السيد ابو القاسم الكاشانى(قدس سره) يختلف فى بعض آرائه السياسيّة مع السيد البر وجردى(قدس سره) ولكن السيد البروجردى لم يكن يعبأ بخلافه، ولذلك لما سمع نبأ اعتقال السيد الكاشانى من قبل حكومة الشاه، وعلم بصدور حكم الاعدام عليه، ارسل من فوره الى الشاه من يخبره بلزوم الغاء حكم الاعدام عن السيد واطلاق سراحه.

جاء الرسول الى الشاه وابلغه رسالة السيد البروجردى، لكن الشاه تعلل عن قبولها متظاهراً بان الأمر ليس فى يده وان المحكمة العليا هى التى تحكم بالسجن والافراج - وكان الشاه يريد اعدام السيد الكاشانى لأنه كان متأثراً منه فى قضايا (المصدق) المعروفة.

ولما رجع الرسول وابلغ السيد البروجردى بالخبر، غضب السيد وقال للرسول: اذهب الى الشاه، وقل له: ان لم تأمر بالافراج عنه لحكمت انا بالافراج عنه - وكان ذلك تهديداً من السيد البروجردى للشاه بأمر لا يحمد عقباه -.

ولما علم الشاه عزم البروجردى(قدس سره) على ذلك امر بالافراج عن السيد الكاشانى فوراً، فافرج عنه وذلك ببركة حزم السيد البروجردى وتدبيره، وحفاظه على كرامة رجال الدين.

الحفاظ على وحدة الكلمة

كان ولا يزال من عادة المراجع الاخيار مساعدة الجهات الدينية ومساندتها والحفاظ على وحدة الكلمة بين الناس على اختلاف مشاربهم وآرائهم، وذلك بالحفاظ على وحدة رجال الدين لأنّهم قادة الناس وأسوتهم فى كل خير، وفى مقدمة الخيرات: وحدة الكلمة.

وكان السيد ابو الحسن الاصفهانى(قدس سره) خير نموذج فى هذا المجال، فقد كان يبذل الأموال الطائلة فى سبيل تأليف القلوب وتوحيد الكلمة، حتى قيل: انّه كان اذا ثبت لديه هلال شهر رمضان - مثلًا - أو هلال شوال، أو ما اشبه ذلك، ارسل رسوله بالمال الى

من يحتمل خلافهم، ثمّ يقول له الرسول بعد ذلك: لقد ثبت الهلال عند السيد الاصفهانى فما رأيكم؟ وكان الجواب هو الموافقة مع السيد.

وكان السيد الحاج آقا حسين القمّى(قدس سره) أيضاً خير مثال فى هذا المجال، فقد قيل عنه: انّه كان يتعاهد أحد مخالفيه بارسال أموال طائلة اليه استمالة له وتأليفاً لقلبه، وكان بذلك يحفظ وحدة كلمة رجال الدين من التصدع والتشتت، حتى لا يطمع من فى قلبه مرض فى النيل منهم.

كما ان السيد البروجردى(قدس سره) كان هو الآخر أيضاً كذلك، فقد كان - كما قيل عنه -: يوصل المال الى المخالفين له الذين يأمل فيهم فائدة دينية أو يخشى من مخالفتهم بما يوجب فتّ العضد فى كلمة رجال الدين، يتألف بذلك قلوبهم، ويستميلهم إليه، حتى انّه قال أحد رؤساء بعض الأحزاب الاسلامية - وكان شديد العداء للسيد - ذات مرة: ان السيد البروجردى كان يرسل الينا المال بين حين وآخر، نعم هكذا كان المراجع الاخيار يتألفون القلوب اتباعاً للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)الذى كان يتألف اصحابه ورؤس قومه بالمال والمداراة.

كيف تقلب الوشاية نصيحة؟

حكى عن أحد اسباط الشيخ الأنصارى(قدس سره) وهو المرحوم السيد موسى السبط، انّه قال: قيل للشيخ الأنصارى فى وشاية تلميذه الميرزا محمد حسن الشيرازى انه عند ما تحلّ احدى المناسبات لزيارة الإمام الحسين عليه السلام يذهب الميرزا مع زملاء درسه للزيارة الى كربلاء المقدسة بالسفينة، ويبسط وقت الغذاء سفرة ملوّنة فيها ما ينافى الزهد ولا يناسب مثل ذلك.

وكان قصد الواشى من كلامه هذا، التنقيص من قدر الميرزا لدى الشيخ، فقال الشيخ للرجل بكل بداهة: رحمك اللّه لقد نبّهتنى الى شىء كنت غافلاً عنه طيلة هذه المدة، وهو ان الميرزا ابن تاجر وقد اعتاد الرفاه فى حياته، والنفقة التى يحتاجها للمعيشة كثيرة، وليس مثلى فانى قد اعتدت حياة التقشف ولا احتاج الى كثير من النفقة، ولكنى كنت الى الآن فى غفلة من ذلك وكنت اعطيه بمقدار ما اعطى سائر الطلاب من تلاميذى فمن اللازم علىّ من اليوم فصاعداً ان ازيد فى مرتبه الشهرى، فرحمك اللّه حيث ذكرتنى به، ثمّ زاد الشيخ بعد ذلك فى مرتب السيد الشهرى، واعتذر اليه من غفلته، وهكذا قلب وشاية الواشى الى نصيحة وعظة، والى درس لنا وعبرة.

الصفح الجميل

قيل انّه كان للمرحوم السيد ابوالحسن الاصفهانى ولد شاب فاضل يدير غالب امور السيد وكان يدعى باسم السيد حسن، فاتفق ان طلب منه رجل يسمى: على القمى، مقداراً من المال، وحيث لم يكن مع السيد حسن المقدار الكافى من المال اعطاه اقل منه، فاخرج القمى من فوره سكيناً حادّاً وذبحه فى صحن الإمام امير المؤمنين عليه السلام وفى صلاة الجماعة وذلك بمنظر من والده ومن الناس.

ولكن حيث كانت العملية هذه قد تمّت بسرعة فائقة تامة، لم يستطع أحد من صدّها والحيلولة دون وقوعها، وانّما فوجئوا بها كاملاً وسقط فى أيديهم، ولذلك كانت هذه الحادثة فاجعة كبرى فجعت الناس يومذاك، وامتحاناً الهياً كبيراً للسيد(قدس سره)، فقد صبر عليها كما صبروا اجداده الطاهرون عليهم السلام وابلى فيها بلاءاً حسناً، و غضّ الطرف عنها وعن مرتكبها حتى كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

ولذلك لما القت الحكومة القبض على القاتل وسجنته، ارسل السيد رسوله الى الحكومة ليطالبها بالافراج عنه، ويبلغها قوله: انى عفوت عنه، انّه كأحد أولادى، وهل يرضى الأب بان يجتمع عليه مصيبتان فى ولده: قتل احدهم، وسجن الآخر؟ كلا، افرجوا عن القاتل، فأفرجوا عنه.

مع الناحية المقدسة

من المعروف ان الميرزا الشيرازى الكبير(قدس سره) صاحب فتوى تحريم التنباك – رغم تشاوره مع علماء عصره ومراجع وقته، وعقده لشورى الفقهاء المراجع – لم يكتب فتوى التحريم الا بعد ان استأذن الإمام الحجة عليه السلام فى الأمر، ويؤيد ذلك انّه كتب فى فتواه: استعمال التنباك اليوم فى حكم محاربة امام العصر)عجل اللّه تعالى فرجه الشريف).

وللتنباك قصة طويلة ومفصلة كتبها احد معاصرى الميرزا فى كتاب كبير رأيته مخطوطاً عند المرحوم الشيخ ميرزا محمد الطهرانى(قدس سره) فحرضته على طبعه ونشره فقال: اردت طبعه لكن الحكومة منعت عنه.

نعم لم يكن هذا الأمر خاصاً بالميرزا الشيرازى: بل نقل عن بعض علمائنا الاعلام أيضاً ذلك، وانّهم كانوا يتلقون المهام عن الناحية المقدسة مباشرة، كما يحكى من الشيخ المفيد والسيد بحر العلوم، والمقدس الأردبيلى، والسيد ابن طاووس وغيرهم رضوان اللّه عليهم جميعاً.

محاربة الفقر

حكى عن المرحوم الميرزا محمد تقى الشيرازى(قدس سره) صاحب الثورة ضد الانجليز، انّه كان يشترط العدالة فيمن ينوب عن الميت لقضاء عباداته الفائتة منه، وذات مرّة جاءه من يطلب منه عبادة نيابية – وكان الميرزا كبقية المراجع مستودعاً اميناً للناس يرجعون اليهم فى تسليمهم مبالغ لقضاء ما فات أمواتهم من عبادات – ولم يكن اتفاقاً عند الميرزا شىء من ذلك، فغضب الرجل واشتد مع الميرزا فى الكلام وسبه، كل ذلك والميرزا ساكت لا يجيبه بشىء.

وبعد ايام جىء الى الميرزا بمبالغ للعبادة، فأمرالميرزا أحد الحاضرين بأن يأخذ بعضه ويدفعها الى ذلك الرجل.

فقال بعض من حضر للميرزا متعجباً: ان هذا الشخص ليس بعادل بدليل ما صدر منه قبل ايام، وانتم تشترطون العدالة فيمن ينوب عن الميت لقضاء عباداته الفائتة منه، فكيف تأمرون له بذلك؟ وهل هو صحيح فى نظركم أو نسيتم ما صدر منه اليكم؟

فقال الميرزا: ان ما صدر منه الىّ قبل ايام كان من شدة الفقر، ومثله لا يضرّ بالعدالة، لأنّه صدر عن حالة غير طبيعية، اضافة الى انّه لم يسبّ غيرى ولم يتعرض بالسوء لأحد سواى، وأنا قد عفوت عنه واستغفرت له ربى.

الصبر والثبات

المرجعية منصب دينى الهى، والمرجع نموذج مثالى للأخلاق والمكارم، ومعلوم انّه بقدر أهمية المنصب وعظم الشخصية تكون المسؤوليات، وتأتى المشاكل والصعوبات، وقد عددت ذات مرة المشاكل والمصاعب التى لاقاها السيد ابوالحسن الاصفهانى(قدس سره) وصمد أمامها، فكانت كثيرة وجسيمة، مثل:

قتل ابنه بتلك الصورة الفجيعة امام عينيه، وتبعيده من العراق حيث خالف سياسة الملك فيصل، وحمله السلاح ومحاربته للانجليز فى قصة احتلال العراق وهو حينذاك مرجع للناس قد ارجع اليه الشيخ الميرزا محمد تقى احتياطاته، وقصّة هجرته من النجف الأشرف الى كربلاء المقدسة حينما كثر الضغط هناك حوله واشتراكه مع الآخوند(قدس سره) فى قصة المشروطة، وحمل اعبائها، واشتراكه مع القمى(قدس سره) وغيره فى طرد الانجليز من العراق، وذلك إبان الحرب العالمية، وصموده فى نشر الاسلام وحفظ التشيع ايام تسلط امثال البهلوى واتاتورك وياسين الهاشمى على بلاد المسلمين، وغير ذلك من القضايا التاريخية المهمة.

وهكذا ينبغى أن يصمد المرجع امام الحوادث والكوارث، والمشاكل والمصاعب، وذلك اقتداءاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام، فان العلماء هم ورثة الانبياء كما جاء فى الروايات والأخبار.

من غدر الانجليز

كان المرحوم الشيخ عبد الكريم الزنجانى صديقاً مع أحد شيوخ العشائر العربية الكبار وكان من عادة الشيوخ حسن الضيافة، فكان يستضيف الشيخ كل عام الزنجانى مرة ويكرمه غاية الاكرام ويزوده بالمال الكثير الذى كان يكفيه وطلابه مدّة من السنة.
تكررت السنين والأعوام على هذه الحالة حتى احتل الانجليز العراق، واذا بذلك الشيخ يتفق مع المحتلين الانجليز للبقاء على مصالحه.
وفور ما علم الزنجانى بذلك ارسل الى صديقه الشيخ من يحذّره عاقبة توافقه مع المحتلين الانجليز، ويطلب منه – بنصيحة وصداقة – فسخ اتفاقه ونقض معاهدته معهم، لانّهم لا وفاء لهم ولا امان، مذكّراً له بقوله تعالى: (ولا تركنوا الى الّذين ظلموا فتمسّكم النار).
لكن الشيخ لم يعبأ بالرسالة ولم ينزل الى ما عرضه عليه الزنجانى.
فكرّر الزنجانى رسالته الى الشيخ وحذّره بقطع علاقاته معه وهدم صداقته له، فلم يؤثّر كل ذلك على سلوك الشيخ واتفاقياته، فقاطعه الزنجانى ولم يذهب لضيافة الشيخ كما كان من عادته فى كل عام، فكتب اليه الشيخ يستضيفه ويطلب منه الاغماض عما وقع منه، لكن الأمر حيث لم يكن شخصياً وانما يرتبط بالاسلام والمسلمين اجابه بالجواب التالى: فرّق بينى وبينك كلمة الإسلام والكفر.
وهكذا غض الزنجانى(قدس سره) طرفه عن صداقة الشيخ لأجل الدين، وقطع نظره من تلك المنافع الطائلة لمصالح المسلمين، ولكن الشيخ حيث لم ينزل لنصح الزنجانى وقع بالتالى فيما حذّره منه من غدر الانجليز، فقد قتلوه شر قتلة فى سجون عميلهم: البهلوى الأوّل فى ايران.

مع حَمَلَة لواء الإسلام

قيل: انّه ولمبادرة اصلاحية حسنة، حرّم المرحوم السيد ابو الحسن الاصفهانى منبر احد الخطباء الشهيرين، حيث ان ذلك الخطيب كان يُعرّض فى منبره بالعلماء الاعلام وذلك فى قصص مشهورة.
وكان التحريم هذا سبباً لتفرق الناس عنه، مما اضطر اخيراً الى اعلان التوبة واظهار الندم عند السيد، والسيد هو بدوره قام برفع التحريم عنه واجاز منبره من جديد، ولكن قبل التوبة ورفع التحريم قال احد اصدقاء ذلك الخطيب:
ذهبت الى النجف الأشرف عند احد العلماء ممن كان فى طراز السيد علماً واجتهاداً وقلت له: الست من المجتهدين والمراجع الذين يرجع اليهم الناس فى مسائلهم؟
قال: ثمّ ماذا؟
قلت: فكما ان السيد افتى بتحريم منبر الخطيب الفلانى الشهير، فافتوا انتم فى المقابل بتحليله فانكم لستم باقل من السيد علماً ومنزلة عند الناس.
عندها اطرق العالم برأسه هنيهة ثمّ رفع رأسه والتفت الىّ وقال: يا فلان اتق اللّه ولا تكن سبباً لشق عصا المسلمين، ان لواء الإسلام وراية التشيع اليوم بيد السيد ويلزم على الجميع اتباعه والتعاون معه والاحتراز عن معارضته ومجابهته، فان مجابهته معناه مجابهة الإسلام، وفت عضد المسلمين وذلك مما لا يجوز فى الشريعة.
وبهذا الرد الجميل سدّ الطريق على كل من يحاول الشغب والقاء الخلاف بين العلماء ولو عن حسن نية، وقطع اطماع الطامعين اصحاب النوايا السيئة الذين يتربصون بالعلماء ويحاولون ضرب بعضهم ببعض عن نيل ذلك.

اهمية الوحدة الاسلاميه

حكى عن بعض ملوك السلسلة الصفوية انه كان ذكياً وحريصاً على نشر الإسلام وترويج التشيع مذهب أهل البيت عليهم السلام

وكان قد عرف مدى نفوذ المرجعية الشيعية ومحبوبية الفقهاء المراجع فى قلوب الشعب الشيعى المسلم، فرأى ان يتوسّل بالمراجع ليكونوا هم الآمرين والناهين.

وذات مرة خرج بصحبة السيد الداماد والشيخ البهائى (قدس سرّهما) – وكان هذان المرجعان يعرفان بوزيريه ومشاوريه – فاراد ان يقوم بعملية اختبار حتى يزداد ايمانه بهما ويقوى اطمينانه اليهما، وكان أحدهما قد تقدم به فرسه وهو الشيخ، والآخر وهو السيد قد تأخر به مركبه، فأقبل الى الشيخ وقال له: انّك رجل متواضع خالٍ عن الكبر ولذا تسرع فى المشى، اما السيد ففيه شيء من الكبر حيث انّه قد تأخر لأنّه لا يمشى الا بخيلاء وتكبّر.

قال الشيخ وهو يردّ عليه: كلا بل بالعكس انّه يلازم السكينة والوقار، وانى لأتعجب من فرسه كيف لا ترسخ اقدامها فى الأرض من جهة ما تحمله على ظهرها من تمثال العلم والايمان.

شكر الشاه الشيخ واعتذر منه، ثمّ تثاقل فى مشيه حتى وصل الى السيد فاقبل عليه وقال له: انک تمشى كما ينبغى للعالم الوقور والمتّزن ان يمشى فى طريقه، لكن الشيخ خفيف النفس غير وقور ولذا تراه كيف يسرع فى مشيه ولا يراعى الآخرين.

قال السيد فى الردّ عليه: كلا ان الأمر بالعكس انّ الشيخ متواضع وليس بمتكبر ولذا لا يمشى مشى المتكبرين وانى لأتعجب من فرسه كيف لاتطير فرحاً مما تحمله على ظهرها من مجسمة الايمان والعلم.

شكر الشاه السيد واعتذر منه، ثمّ نزل عن فرسه وسجد للّه شكراً على ما رآه فى هذين العَلَمين من الاتحاد والاتفاق والصفاء، والتقوى والايمان.

وهنا لا بأس بذكر بعض قصص الاتحاد وآثاره البنّاءة، وعرض بعض قصص التفرقة وويلاته المدمّرة، للاشارة الى اهمية الأوّل وخطر الثانى، فإنّ من أولى الضروريات التحفيظ على وحدة الكلمة والاجتناب على اختلافها، مهما كلف الأمر، ولا يكون ذلک الا بالاستشارة بين الكبار فى السطوح العالية وخاصة بين الفقهاء والمراجع.

*يقال: انّ ملكاً اقترب موته فجمع اولاده وكانوا اثنى عشر شخصاً، فأمر بحزمة قصب وشدت بعضها الى البعض فاعطاها لكل واحد منهم وامره بكسرها فلم يقدر أحد منهم على ذلک، ثمّ فلّها واعطاها قصبة قصبة لواحد منهم فكسرها جميعاً، عندها التفت الملک اليهم وقال لهم: ان مثلكم فى الحياة كمثل هذا القصب ان اتحدتم لم يقو على كسركم احد، وان تفرقتم تمكن من كسركم واحد من الناس.

*وحكى عن أحد الخطباء المفوّهين: بأن خطيبا آخر حسد ولم يتق اللّه فيه، وكان الخطيب المحسود يرقى المنبر فى المسجد الجامع للبلد، فقام الحاسد بتهيئة المنبر فى المسجد الجامع بظن انّه سوف ينال هذا الحظ اذا منع زميله وسيكون هو الخطيب هناک، لكن هيهات، فقد منع هو أيضاً حيث دعى صاحب المجلس خطيباً ثالثاً.

*ويقال فى المثل عن لسان الحيوانات: ان ثلاثة من الابقار بألوان ثلاثة: احمر واصفر واسود كانت تعيش معاً فى مزرعة، فجاء اسد ليفترسها فرآى انه لا يقوى عليها جميعاً، فاحتال فى ان يفرّق بينها ليسهل له افتراسها، فاقبل نحوها وقال: لنمش معاً بأمان، فانى احرسكم من كل عدو، ولكن هذا الثور الاصفر قد يفضحنا بلونه ويكشفنا للعدو، فلو تخلصنا منه؟ قال هذا وهو ينظر الى الثور الأسود والأحمر كأنّه يستشيرهما، فأجاباه بدورهما: انّه كما تقول، ولكن كيف نتخلص منه؟ فقال: انّه سهل لو احرزت موافقتكما، فقالا: نحن موافقون، فقال: افترسه ونتخلّص منه، ثمّ افترسه بكل راحة وسهولة وجعله لقمة سائغة، ثمّ أمضى معهما مدة حتى اذا جاع واضرّ به الجوع التفت الى الثور الأسود وقال: انّى قلق واخاف من العدو ان يكشفنا، فان هذا الثور الأحمر قد يفضحنا بلونه، فسكت الأسود، فواصل الأسد كلامه وقال: فلو تخلصنا منه كى نعيش معاً بأمان؟ فابدى الثور الأسود رضاه ولم يقل شيئاً، فوثب الأسد على الثور الأحمر وافترسه بكل سهولة لقمة سائغة، ثمّ بعد مدّة لما جاع الأسد وثب على الثور الأسود واراد افتراسه واكله، فقال الثور: دعنى حتى اتكلم كلمتى الأخيرة، ثمّ صرخ بصوت عال وقال: (لقد اُكلتُ حين اُكل الثور الأصفر).

*ويحكى عن شخصين مسافرين مرّا فى الطريق على مضيف، فأقاما هناك للاستراحة وبقيا فيه، فقام احدهما لقضاء حاجته، فسأل الشيخ وهو صاحب المضيف من الآخر عن صديقه قائلًا: كيف صديقك؟ قال: انّه ثور، فسكت الشيخ ولم يقل له شيئاً، حتى اذا رجع ذلك وخرج هذا لقضاء حاجته، سأله الشيخ عن صاحبه قائلًا: كيف صاحبك، قال: انّه حمار، فسكت الشيخ أيضاً ولم يقل له شيئاً، لكنه أضمر فى نفسه تأديبهما، ولذا لما حان وقت الغذاء، امر بأن يقدم لأحدهما تبناً والآخر شعيراً، فلما قدم لهما ذلك غضبا وقالا: ما هذا الذى قدّمت لنا؟ فقيل فى جوابهما: انه بحسب اعتراف كل منكما فى حق صاحبه، فان أحدكما قد قال فى الجواب لما سألته عن صديقه: انه ثور، وهل طعام الثور الا التبن؟ وقال الآخر فى الجواب لما سألته عن صاحبه: بأنّه حمار، وهل طعام الحمار الا الشعير؟ فسقط فى ايديهما، وعلما انهما قد عوملا بما فى انفسهما من سوء نية بالنسبة لكل واحد منهما.

*ويقال: انّ ثلاثة اشخاص ذهبوا معاً يتنزهون فدخلوا فى طريقهم بستاناً واخذوا يأكلون منه بلا اذن من صاحبه، فجاء صاحب البستان فلما رآهم يعثون بالفواكه ويسرفون فى اقتطافها واكلها فكّر فى تأديبهم، لكن رآى انّه لا يقدر على مقاومة الجميع لانّه واحد وهؤلاء ثلاثة، الا ان يُلقى التفرقة بينهم، ولذلك جاء وأقبل على اثنين منهم وقال: كأنى اراكما من معارفى فاهلًا بكما، وهنيئاً لكما، ولكن اخبرانى عن هذا الثالث بأنّه بإذن من دخل البستان وبإذن من أكل ما أكل فإنى لا اعرفه؟ فقالا فى جوابه: ونحن أيضاً لا نعرفه. فقال: اذن هو متجاوز ويجب تأديبه، ثمّ التفت اليهما وقال: اعينونى عليه، فشدوه بنخلة من نخيل البستان ثمّ اوجعه ضرباً، وبعد برهة من الزمان التفت الى واحد من هؤلاء الاثنين وقال: اخبرنى من أنت لأعرف هل أنت كمن ظننت من معارفى أم لا؟ فقال: انى فلان ابن فلان الكذائى، فقال صاحب البستان: عجيب انى اذن مشتبه فى ظنى، فلست انت من تخيلت انّه من معارفى، ثمّ التفت الى الآخر وكأنه يحرّضه عليه وقال: اذن صاحبك هذا متجاوز فأعنّى على تأديبه، ثمّ شدّه بنخلة ثانية من نخيل البستان وأوجعه ضرباً، وبعد فترة أخذ صاحب البستان اهبته واقبل على الأخير وقال له: وأنت أيضاً كصاحبك اتصور انّى مشتبه فيك، ولما أراد أن يعرّف هذا الأخير نفسه، فاجأه صاحب البستان بالقبض عليه ثمّ شده بنخلة ثالثة فى البستان واوجعه ضرباً، وهكذا استطاع تأديبهم جميعاً لما فرّق بينهم.

الى غير ذلك من القصص الكثيرة الواردة بهذه المضامين فى هذا المجال وربما لا يقدر الانسان على حفظ الوحدة واتحاد الكلمة لعنف طرفه وشدة خرقه فاللازم عليه ان يسكت من ناحيته ويتحلى بالرفق والحلم تجاهه حتى يقلّل من حدة التوتر وشدة الخلاف.

كيف تتألف القلوب؟

يحكى عن المرحوم السيد ابوالحسن الاصفهانى(قدس سره)انّه ارسل وكيلا الى أحد المناطق الشمالية فى العراق، لارشاد الناس وتعليمهم المسائل والأحكام، وكان هناك شيخ عشيرة فى المنطقة، فقام بمعارضة الوكيل اشد المعارضة حتى عجز عنه الوكيل، فراجع الوكيل حاكم المنطقة ليمنع منه الشيخ.

فقال الحاكم: انى لا اقدر على منع هذا الشيخ عنك لعشيرته الكبيرة، فان اردت ذلك فقل للسيد ابو الحسن يأمر من يراجع وزارة الداخلية ويطلب منهم توفير الحماية لك، وحينذاك تبعث لنا الوزارة امكانات فنقوم رسمياً بمنع الشيخ عنك.

فجاء الوكيل الى السيد ونقل له القصة.

فقال السيد: لا بأس ثمّ كتب كتاباً الى ذلك الشيخ يخصه وعشيرته بالسلام ويوصيه بالوكيل وجعل فى الكتاب مبلغاً محترماً من الدنانير وقال للوكيل: اذهب الى المنطقة وادخل على الشيخ فى ديوانه واعطه هذا الكتاب.

فجاء الوكيل وفعل ما امره السيد، فلما فتح الشيخ الكتاب ورآى المبلغ المحترم من الدنانير والعطف والحنان من السيد انقلب الى صديق مؤالف، واحترم الوكيل غاية الاحترام، وامر قومه وعشيرته باحترام الوكيل وحضور مجلسه والاستماع اليه، واطاعة أوامره، والتعاون معه، وهكذا فعلوا.

فتوسّع نفوذ الوكيل فى تلك المنطقة واستطاع ارشاد كثير من الناس وهدايتهم الى مذهب أهل البيت عليهم السلام ونشر الثقافة

الإسلامية هناك.

وذات مرة جاء الوكيل الى النجف الأشرف مع جماعة من اهالى تلك المنطقة لزيارة الإمام امير المؤمنين عليه السلام والالتقاء بالعلماء وبالسيد وزيارته، وعندما التقى الوكيل بالسيد، قص له تأثير الكتاب وتعطف شيخ العشيرة معه، فاستبشر السيد من الخبر وقال: هكذا امرنا الإسلام ان نتعامل مع الناس.

تهادوا تحابّوا

هناك قصة اُخرى منقولة عن السيد ابو الحسن الاصفهانى(قدس سره) أيضاً مشابهة للقصة السابقة وهى: انّه(قدس سره) ارسل وكيلا آخر الى نقطة اُخرى من مناطق العراق، فانكره شيخ العشيرة فى تلك المنطقة ومنع الناس منه وهدّدهم بقطع الماء عنهم وقال: كل من يكلم الوكيل أو يصلى معه أو يحضر مجلسه فهو محروم من الماء، وكان ماء تلك المنطقة بيد الشيخ.

فلم يقدر الوكيل من البقاء هناك لمقاطعة الناس له، فرجع الى النجف الأشرف لينقل للسيد القصة ويستشيره فى الأمر.

فقال له السيد: لا بأس زرنى غداً، وفى الغد لما جاء الوكيل الى السيد، اعطاه السيد فروة ثمينة وعشر ليرات، وقال اذهب بهما الى الشيخ وبلغه سلامى وتحياتى وقدمهما اليه.

فجاء الوكيل الى الشيخ وهو فى ديوانه وقدمهما اليه وبلغه تحيات السيد وسلامه.

قال الوكيل: فلبس الشيخ الفروة وأخذ يحتال فيها كالطاووس عندما ينشر جناحيه وقال: اهلاً بك وبمن ارسلك، ثمّ التفت الى عشيرته ومن حوله فى المجلس وقال مهدداً لهم: ان من لا ـ يذهب الى صلاة الوكيل ومجلسه أو لا ـ يتعاون معه ويطيعه، يمنع عنه الماء، مما سبب توجه جميع اهل تلك المنطقة نحو الوكيل والإلتفات حوله، والاهتداء بتبليغه وارشاده.

بين الآيتين الشيرازى والمازندرانى

كان الميرزا الكبير الشيرازى(قدس سره) والشيخ زين العابدين المازندرانى(قدس سره) معاصرين فى فترة من الزمان وكانا فى تلك الفترة مرجعين كبيرين من مراجع المسلمين فى العالم، فقد كان كثير من مسلمى الهند يقلدون الشيخ المازندرانى كما كان كثير من المسلمين يقلدون الميرزا الشيرازى(قدس سره) وكان الصفاء بين هذين المرجعين نتيجة تقواهما الى درجة بحيث ان زوجة الميرزا لما سألت الميرزا عن احتياطاته الى من ترجع فيها، أرشدها بالرجوع الى الشيخ، وكان هذا من صفاء الميرزا.

واما صفاء الشيخ فقد قيل: انّه جاء بعض مسلمى الهند ممن يقلد الميرزا الى الشيخ وقالوا له ما معناه: هل انكم أيضاً ممن يقلد الميرزا القبلة الكعبة؟ والقبلة الكعبة: من الألقاب المهمة التى كان ينحلها مسلمو الهند علمائهم ومراجع دينهم.

فقال الشيخ: نعم انا أيضاً اتوجه الى القبلة والكعبة، وهو يقصد من ذلك التوجه الى القبلة فى الصلاة ولم يصرح بانّه لا يقلد الميرزا حفاظاً على عظمة الميرزا وتثبيتاً لمرجعيته، واعظامه فى اوساط المسلمين عامة، ولدى مقلديه خاصة، وهذا لا يكون الا من صفاء القلب وشدة التقوى والورع.

قائد ثورة العشرين بين العبادة والعمل

قيل: انّه اقترح بعض رجال الدين على المرحوم الميرزا محمد تقى الشيرازى(قدس سره) - قائد ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطانى - الاقتراح التالى قائلاً: انكم اسوة للناس وقدوتهم لكل خير، ولذا من الأفضل ان تقبّلوا عتبة الإمام الحسين عليه السلام حتى يتعلم الناس هذا التأدّب منكم.

فأجاب الميرزا قائلاً ـ انى اقبّل عتبة العباس عليه السلام والحرعليه السلام فكيف بالإمام الحسين عليه السلام؟ وهكذا كانوا يعلمون

الناس التوجه الى قادة الاسلام وائمة المسلمين من أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

*ونقل لى والدى رحمه اللّه تعالى عن عمى السيد ميرزا عبد اللّه(قدس سره) الذى كان ملازماً للميرزا - علماً بأن الميرزا(قدس سره) من اخوال والدى وعمى - انه مع طول ملازمته للميرزا لم تقع عينه فى عينى الميرزا الا مرّتين، حيث ان الميرزا كان شديد الحياء، كبير التواضع، كثير الفكرة، مطراقاً لا يرفع رأسه حتى مع من يريد ان يكلمه الا نادراً، ولذلك لم تقع عين احد فى عينيه عادة.

*ونقل لى والدى(قدس سره) أيضاً: بأنّ الميرزا انحرفت صحته وتدهور مزاجه وحاله، واتفق ان اهله سافروا مدينة بلد لزيارة السيد محمد اخ الإمام الهادى عليه السلام فاخذ عمى المذكور يباشر ادارة أموره الداخلية ويهيّء له طعامه وشرابه معتنياً به فى ذلك من حيث الجودة والتركيز، فتحسّنت حاله واعتدلت صحته، وتبيّن ان الانحراف فى صحته انما كان قد نشأ من سوء التغذية، ومن عدم التركيز فى الطعام الذى كان يقدم اليه، ولم يكن من عادته ان يأمر أحداً بشيء اطلاقاً وخاصة فى مجال الغذاء واللباس وما اشبه ذلك مما يخصّه.

*ونقل أحد علماء النجف الأشرف قائلاً: صحبت انا وجماعة، الميرزا محمد تقى الشيرازى(قدس سره) ذات مرة الى زيارة مسجد السهلة، وبعد ان اتم اعماله خرج وخرجنا معه باتجاه مسجد الكوفة، ولما ابتعدنا مقداراً عن المسجد، اذا به يبحث عن شيء ويلتفت يميناً ويساراً، فسألناه عما اذا فقد شيئاً، فلم يجبنا بشيء، وانما رجع الى ورائه حتى دخل المسجد وجاء الى مكانه الذى كان قد جلس فيه، واذا بقلمه ومحبرته قد نسيتهما هناك، فأخذهما والتحق بنا، ثمّ لما سألناه أرانا القلم والمحبرة وقال: قد نسيتهما فى مكانى فرجعت وأخذتهما. فتبين لنا انّه من عفّة نفسه لم يحب تكليف أحد حتى بمثل هذا التكليف البسيط.

*وحكى أحد تجار كربلاء المقدسة وكان وكيلاً فى توزيع الخبز من قبل الميرزا(قدس سره) قائلاً: وكنت ذات مرّة قد أتيت الى دار الميرزا للمحاسبة، فلم أجده، فاحتملت ان يكون على السطح فصعدت السطح فإذا بى أراه مفترشاً جبهته الأرض، ساجداً للّه تعالى وهو يبكى ويناجى ربه، قال: فقلت فى نفسى: لعله لا يحب أن أراه بهذه الحالة، فرجعت إلى صحن الدار وأخذت اناديه برفيع صوتى، فقال: من المنادى؟ قلت: أنا، فأذن لى بالصعود اليه بعد ان قام ولبس عباءته وقبائه وعمامته وردائه ومسح دموع عينيه وتراب وجنتيه، فصعدت فرأيته فى حالة طبيعية، فصفيت حسابى معه وودّعته وخرجت.

الى غير ذلك من أحواله العجيبة وزهده وورعه وتقواه، حتى قال أحد تلامذته، كنا إذا سئل عنا عن عدالة الميرزا، نقول لهم: اسألوا عن عصمته الصغرى؟

من لطائف قصة التنباك

قيل: إنّ الميرزا الشيرازى الكبير(قدس سره) لما كان فى سامراء كان يواظب على تربية نخبة من رجال الدين النزيهين ويشجعهم على البقاء هناك وكان إذا رأى الاعوجاج من أحد الطلاب نصحه وحثّه على الإعتدال، فإذا لم يعتدل هيأ وسائل خروجه من سامراء - من غير مباشرة - وذات مرّة اتفق ان جاء أحد ابناء الأشراف من طهران إلى سامراء وتتلمذ على الميرزا، لكنّه كان ينتقص الميرزا فى مجالسه، وكلّما قيل للميرزا بقطع مرتبه الشهرى أو اخراجه من سامراء، لم يجبهم إلى ذلك.

وبعد مدّة جاء وفد من طهران إلى سامراء وطلبوا من الميرزا أن يرسل لهم وكيلاً.

فقال لهم الميرزا: وهل ترغبون أن يكون فلان وكيلى فيكم - وهو يقصد ذلك الذى كان ينتقصه -؟

قالوا: نعم.

فهيأ الميرزا اسباب سفره بأحسن وجه وكتب له الوكالة عنه وأرسله معهم إلى طهران بكل احترام ممّا اثار اعتراض المطّلعين عن حاله على الميرزا لكن الميرزا لم يلتفت إلى اعتراضهم وسكت عنهم حتى ثارت قصة التنباك.

وكان هذا الوكيل، قد ارتفع شأنه وصار من علماء طهران المبرّزين ومن المقرّبين لناصر الدين شاه ففكّر الشاه فى نقض حكم الميرزا

على أيـدى رجال الـدين أنفسـهم ولـذا أمر هـذا العالم أن يدعوا العلماء إلى داره ويخبرهم بأنّ الشاه يريد الإجتماع بهم فى داره، فلمّا اجتمعوا جاء الشاه ولما استقربه المجلس اقبل عليهم وقال: (اليس حلال محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حلال إلى يوم القيامة)؟

قالوا: بلى.

قال فمن هو الميرزا محمّد حسن الشيرازى الذى حرّم التنباك؟

فـأحجم العلمـاء عن الجواب وعمّ المجلس السـكوت لحظـات، وإذا بهـذا العـالم نفسه يخترق السـكوت ليقول للشاه: ايها الشاه لا تقل (محمّـد حسن) انّه زعيم الشـيعة ورئيس الحوزة، ومقتـدى الناس ونائب الإمام المهـدى عليه السـلام، إنّه آيـة اللّه العظمى الحاج ميرزا محمّد حسن الشيرازى ادام اللّه ظلّه على رؤوس الأنام.

فغضب الشاه وقال: ثمّ ماذا، وما أنتم صانعون؟

فأجابه هذا العالم: انّنا بانتظار تنفيذ أمره وإلاّ نفذناه نحن بالسيف.

وهنا غضب الشاه غضباً شديداً وقام وخرج من المجلس وهو يقول: أردناه لنا عوناً فانقلب علينا فرعوناً.

وهكذا فشل الشاه فى تآمره على رجال الدين وتخطيطه لحفظ مصالحه الشخصيّة.

فكتب بعض الحاضرين تفصيلاً عن القصّة إلى الميرزا وأرسله إليه.

فلمّا وصل الميرزا ذلك طلب المنتقـدين له والمعترضـين عليه فى قصـة توكيله ذلك الذى كان ينتقصه فى مجالسه وعدم موافقتهم له فى ارساله إلى طهران وكيلاً عنه، وأراهم الرسالة.

فلمّا عرفوا مضـمونها، اعتذروا من الميرزا وأكبروه على حسن سلوكه وبُعد نظره، وعلموا أنّ الرفق بالناس والمداراة لهم من أهمّ الاُمور فى الحياة.

الشيخ كاشف الغطاء لم يفعل مكروه

يقال: أنّه سئل الشـيخ جعفر، صاحب كتاب كشف الغطاء (قدس سره)عن أنّه هل من الصـحيح أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أو الإمـام عليه السـلام لاـ يعصـى اللّه تعالى طيلـة عمره وكيف يمكن ذلك؟ فأجاب قائلاً: وهل تتعجّبون من ذلك؟ فإنّه لا عجب إذ انّى لست بمعصوم ولـم افعل مكروها طيلة اربعين سنة، فكيف بالإمام المعصوم عليه السلام؟

نعم إنّ علماءنـا الأخيـار هم كـذلك، ومن اللاـزم على الجميع الإقتـداء بهم وخصوصـاً طلاب العلوم الدينيّـة، فإنّ خير الـدنيا وسـعادة الآخرة فى التقوى واجتناب معصية اللّه تبارك وتعالى.

كتاب بكتاب

كتب رجل بعيد عن الآداب الإسـلاميّة إلى العالم العظيم الخواجه نصير الدين الطوسى(قدس سره) كتاباً خشناً وكان فى جملة ما كتب فيه: (يا كلب).

فأجابه الخواجه الطوسى(قدس سره) فى كتاب بجواب ليّن، وكان فى جملة ما كتب فيه: وأمّا خطابك لى بالكلب، فإنّى لست بذلك، فإنّ الكلب منحنى الظهر، وأنا مسـتقيم القامة امشـى على رجلين، وما اشـبه هذه العبارات، وذلك بكل هدوء ورفق، وبدون أىّ خشونة وخُرق ممّا أدّى إلى خجل الكاتب والإعتذار منه.

المرجع السمح

كان أحد العلماء المعاصرين للآخوند الخراسانى(قدس سره) مخالفاً لبعض آراء الآخوند الخراسانى(قدس سره) ومظهراً لخلافه له.

قال: فجاءنی ذات یوم رجل غریب وهو یحمل کیساً مملوأً بلیرات ذهبیة وقال: من هو المرجع هنا؟

قلت: إنّ فلاناً هو من المراجع وأنا موافق له لکن لا یعطی، والآخوند هو من المراجع أیضاً وأنا مخالف له لکن یعطی.

قال الرجل الغریب: لیس لی حاجة بمن لا یعطی، فاذهب بی إلی من یعطی.

قال: فأخذته إلی دار الآخوند وأنا فقیر مقدّم محتاج إلی لیرة واحدة منها، فدخلنا علی الآخوند فرأیناه یتوضأ، فقلت للرجل الغریب: إنّ هذا الذی یتوضأ هو الآخوند، فالتفت إلیه الرجل الغریب وقال: إنّ هذا المال هو ثلث میّت وقد جئت به إلیک.

فقال له الآخوند: تقبّل اللّه منه ومنک ورحمه وایّاک، نعم ضعه علی الحصیر، ثمّ أتمّ وضوئه، وقد ذهب الرجل.

عندها قال لی الآخوند: خذ هذا المال لک.

فتعجبت من کلامه وقلت: لا إنّما آخذ بعضه.

فقال الآخوند: کلا، بل کلّه لک وبالتالی وبإصرار کثیر اعطانی المال کلّه ولم یرضی لی بغیره، ممّا صار ذلک سبباً لأن ارفع الید عن مخالفتی له، وأن أکون بعد اظهار الخلاف له ممّن یظهر الوفاق له ویعلن بالمحبّة والإجلال، والمدح والثناء علیه.

القاضی الوحید

یشترط فی اجراء الحدود، والقوانین الجزائیة فی الإسلام، شروطاً من أهمّها:

تطبیق کل احکام القرآن والإسلام تطبیقاً صحیحاً کاملاً وذلک فی الأوساط الإجتماعیة والشخصیة، والأبعاد السیاسیة والإقتصادیة وغیرها، فإذا طبق کل ذلک وفی کل المجالات، وصار الجوّ والمناخ جوّا ومناخاً اسلامیاً عندها یأتی فی آخر المطاف دور تطبیق الحدود الإلهیة والقوانین الجزائیة فی الإسلام مع رعایة شروطها الخاصة.

والظاهر: انّ هذه الشروط کانت متوفرة کلها فی زمن المرحوم البهبهانی نجل العلامة الوحید البهبهانی(قدس سره)، مما جعله یفتی باجراء الحدود فی عصره وزمانه ویقیمها علی المستحقین فی بلده ومکانه.

وذات مرة جاؤا الیه بساحر قد ثبت علیه ارتکابه للسحر وقتله لإنسان بری، فلما أراد اجراء الحد علیه، قال له الساحر: انک لو اجریت الحدّ علیّ لم تبق حیاً اکثر من اسبوع واحد، وکان الساحر یقصد من قوله هذا التهدید له بسحره والقضاء علی حیاته بالسحر فی مدة اسبوع.

فأجابه البهبهانی بکل صراحة: ان الحدود الإلهیة لا تعطّل بمثل هذه التهدیدات، ثمّ أمر باجراء الحد علیه.

مسؤولیة الحقوق الشرعیة

حکی عن المرحوم الحاج آقا رضا الهمدانی(قدس سره) صاحب کتاب: (مصباح الفقیه): انّه ایام کان فی سامراء اصبح مدیوناً، وذات مرّة جاء الیه شاب وهو فی إبان بلوغه، واوّل تکلیفه وقال له: انی ارید ان اقلّدکم فی مسائل دینی وارجع الیکم فیها، وقد جعلت رأس سنتی المالیة اوّل بلوغی وهذا مقدار خمسی اقدمه الیکم.

فقال الهمدانی(قدس سره) فی جوابه: اما التقلید منی فلا بأس به، واما الحقوق الشرعیة فإنی غیر مستعد لاستلامها.

وکلما أصر علیه الشاب فی أخذها، لم یقبل من ذلک، حتی رجع الشاب خائباً من استلام الهمدانی لخمسه.

عندها سُئل الهمدانی(قدس سره) عن سبب امتناعه وعدم تسلّم المال، مع انّه مدیون ولا مال له؟

فأجاب: اما انی مدیون فلا مشکل لأنّ اللّه تعالی قد وعد بوفاء مثل هذه الدیون، واما انّه لا مال لی فقد ضمن اللّه رزقی وتکفل لی بذلک، وبعد هذا کله، فما حاجتی الی اخذ الحقوق الشرعیة، التی یجب صرفها فی محلها وهو خارج من وسعی وقدرتی، وان اخذها یوجب لی اشتغال الذمة واعظام التکلیف، والوقوع فیما لا اطیق؟

نعم انّ المرجع الذى يستلم الحقوق الشرعية ليس هو فيها اكثر من امين فيأخذها من اصحابها ليسلّمها الى مستحقيها، وانّ المراجع عادة لا يصرفون منها شيئاً على أنفسهم وفى أمورهم الشخصية، وإنّما يضيقون على أنفسهم ويقنعون بموارد الهدايا وما اشبه من الأموال الشخصية ويصرفون الأخماس والزكات فى مواردها: من اسعاف المحوجين، وهداية الضالين، ونشر الإسلام، وترويج المذهب الحق مذهب أهل البيت عليهم السلام، وتأليف القلوب وجمع الكلمة، وفى مصالح المسلمين العامة وغير ذلك مما ذكر فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

الكلمة الأخيرة

وهذا آخر ما أردنا سرده من قصص علمائنا الأعلام فى هذا الجزء من الكتاب ونحن نرجوا من اللّه تعالى أن يوفقنا لأن نذكر قصصاً أُخرى فى هذا المجال فى جزء ثان ان شاء اللّه تعالى.

كما ونسأله تعالى ان يوفقنا لصالح الأعمال ولنشر آثار شخصياتنا العلمية والدينية، وأن يوفقنا لاتباع آثارهم والإقتداء بسيرتهم حتى نكون كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

(اللهم صلّ على محمّد وآله، وسدّدنى لأن اعارض من غشّنى بالنصح، وأجزى من هجرنى بالبرّ، واثيب من حرمنى بالبذل، واكافئ من قطعنى بالصلة، واخالف من اغتابنى الى حُسن الذِكر، وان اشكر الحسنة، واغضّى عن السيئة).

سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

كربلاء المقدسة

محمّد بن المهدى الحسينى الشيرازى

۱۳۸۸/هجرية

رجوع إلى القائمة

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و

عموم النـاس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّافعـة – مکـانَ البَلا-تیثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـة الحالیّـة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی

بالقائمیّـة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سـماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکـّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹